



مطلع النور

١

طولع البعث المحمدية

تأليف

عباس محمود العقاد

دار نهضة مصر للطبع والنشر
القاهرة

مَطْلَعُ الْيُودِ

أو

طَوَالِغُ الْبَيْعَةِ الْحَكَمِيَّةِ

تأليف

عَبَّاسِشْ مُحَمَّدُ الْعَقَّاقُ

دار نهضة مصر للطبع والنشر
الدجالة - القاهرة

مقدمة المقدمات

مطلع النور عنوان هذه الصفحات

ومدار البحث فيها على البعثة النبوية - بعثة محمد عليه السلام - وما
تقدمها من أحوال العالم ، وأحوال جزيرة العرب ، وأحوال الأسرة
الهاشمية ، وأحوال أبيه الشريفين

ويسور البحث فيها على نوعين من المقدمات :

مقدمات تمهد لنتائجها ونقضي إليها .

ومقدمات تأتي النتائج بعدها كأنها رد فعل لها . وعلاج لأسبابها
وعواقبها .

مقدمات من قبيل الداء يأتي بعده الموت . فهو نتيجة وعقابه على
الشرعة المعهودة في طبائع الأشياء .

ومقدمات من قبيل يأتي بعده الدواء . فليس هو بنتيجة له إلا على
معنى واحد . وهو لحاق الدواء بالداء . وظهور الشفاء بعد الحاجة إليه .

مقدمات تتحقق بها قوانين الطبيعة

ومقدمات تتحقق بها عناية الله

ولا سيما حين تأتي الحاجة إلى الشفاء من غير المريض ، بل تأتي على
الرغم منه وعلى خلاف ما يرجوه ويستغيه

كيف نشأ التوحيد بعد التباس الوجدانية بالشرك واختلاط الأديان
بين الآلهة والأوثان ؟

كيف نشأت ديانة الإنسانية بعد دبانات العصبية والأثرة القومية ؟

كيف نشأت نبوة الهداية بعد نبوة الوقاية والقيادة ؟

كيف أصبحت المعجزة تابعة للإيمان بعد أن كان الإيمان تابعاً
للمعجزة ؟

كيف ظهر الإسلام بعد عبادات لا تمهد له ولا يبني عليها مقدمات لم
تكن واحدة منها ممهدة لنتائجها . وإن مهدت لها خطوة في الطريق فقد
تنكص بها بعد ذلك خطوات وخطوات

وهذه هي المقدمة التي لا تأتي بعدها النتائج الصالحة إلا بعناية من
الله واتجاه بقوانين الكون وعوامله إلى حيث يشاء

فليست الجاهلية مقدمة للإسلام

وليس الفساد في العالم سبباً للصالح

وليست قريش ولا جزيرة العرب ولا دولة القياصرة ولا أبهة
الأكاسرة هي التي بعثت محمداً ليُشكر العصبية على قريش . ويعلم العرب
تسفيه التراث الموروث من الآباء والأجداد . ويثُل العروش التي قام
عليها الطغاة وتآله عليها الجبابرة من دون الله

هؤلاء جميعاً كانوا صحبة البعثة المحمدية

وهؤلاء جميعاً كانوا مريضها الذي شفى على يديها بغير شعور منه
«مرض وبغير سعي إلى الشفاء

وتلك هي المقدمات ونتائجها كما تتجه بها عناية الله

رسول يوحى إليه فيصنع الأعاجيب

ذلك ما يقوله المؤمنون بعناية الله

فإذا استطاع المنكرون أن يقولوا غير ذلك فليقولوه وليفسروه . فلا
تفسير له عندهم إلا أن الفساد يصلح الفساد . وأن الداء يشق الداء .
وأن الأسباب تخفى في طريقها فتختلف بها الطريق وتذهب إلى حيث لا
يفضى الذهاب

جاء محمد بدين الإنسانية في أمة العصبية

جاء ينكر كل اله غير الواحد الأحد في عالم يؤمن بكل اله غير
الواحد الأحد . أو يؤمن به كأنه صنم من الأصنام يتعدد في كل بيعة
وكل مقام

أحمد وحده يقدر على ذلك ؟

أحمد يقدر عليه بعناية من الله ؟

أدنى القولين إلى عقل العاقل أدناهما إلى الإيمان . وأناهما عن
الصواب أناهما عن الله

ولولا تدبير من الله لما ادخرت جزيرة العرب لهذه الرسالة لتخرج
بالتاريخ الإنساني كله إلى عالم جديد

• • •

وسنرى فيما يلي من هذه الصفحات كيف تتناقض النتائج والمقدمات
فلا تستقيم إلا بمقدمة واحدة ، وهي رسالة النبوة وعناية الله

وسنبداً بالمقدمات من طوابع الغيب في تأويل المتأولين إلى وقائع
الحس والعيان في أحوال العالم ، وأحوال الجزيرة ، وأحوال الأسرة ،
وأحوال البيت الذي طلع منه نور النبوة ، وبرز منه فجر التاريخ
الحديد في كل ما حوله ، وتحققت به عناية الله
ونرجو في نهاية المطاف أن نبلغ بها نتيجة النتائج كما تتفق عليها نظرة
الفكرة وبديهة الإيمان
وعلى بركة الله

الطوائع والنبوءات

على بركة الله نخصي في سرد المقدمات التي سبقت البعثة المحمدية
بنوعها :

مقدمات ترتبط بما تلاها من الحوادث ارتباط الأسباب بالمسيبات
ومقدمات لا ترتبط بما تلاها هذا الارتباط ، بل لعلها تناقضها
وتؤدي إلى خلافها ، وأما ترتبط بها ارتباط الداء بدوائه والعلّة بما
يزيلها ، فليست النتائج هنا وليدة المقدمات ، بل هي العلاج الذي
يزيلها والآية التي تحول الأسباب الطبيعية إلى طريق الحكمة الأبدية التي
تنكشف أوائلها من حداثتهما ، خلافا للعرف الشائع من دلالة الأوائل
على الخواتم

ورائدنا في متابعة هذه المقدمات بنوعها أن ننظر في الآيات الكونية
والمعاني التاريخية ، لأنها ولا شك عنوان إرادة الله المتصرف في الكون
كله ، ولأنها - على هذا - مفتوحة الصفحات لكل ناظر ومتأمل يعمل
بفريضة الإسلام الكبرى وهي التفكير في ملك الله والنظر بالعقل في
حقائق السماوات والأرضين

رائدنا في البحث عن مقدمات الدعوة النبوية أن إرادة الله ظاهرة في
ملكه وآيات خلقه ، وإن الناس مطالبون بالنظر في هذه الإرادة قبل
النظر في المعجزات والحوارق التي لا تأتي في كل حين ولا تخص المؤمنين
دون سائر المصدقين بالخير والبيان

وسؤالنا عن كل معجزة لا يدور على إمكانها أو استحالتها . فليست المعجزات بالقياس إلى قدرة الله خالق الكون إلا كالمألوفات التي تجري بها العادات في كل يوم ، فإذا كانت الموجودات مخلوقة بخصائصها فالذي خلقها وخلق خصائصها يملك تغييرها وتبديلها ويأتي بالمعجزات كما يأتي بالمنظور والمطرود من النواميس والعادات ، وعقيدتنا في ذلك عقيدة الإمام الغزالي رضي الله عنه حيث قال غير مرة إن الحوادث تجري عند حصول الأسباب ولا تجري بحصول تلك الأسباب . فليست خصائص المادة من فعلها ولا إرادتها ولكن المادة وخصائصها جميعا من فعل الحكمة الإلهية التي تسخر كل شيء بمقدار

فنحن لا نسأل : هل المعجزة ممكنة أو غير ممكنة . فإن العقل الذي يقول إن المادة لا توجد إلا هكذا أضيق من العقول التي تصدق كل شيء بغير بحث ولا برهان

ولكننا نسأل : هل المعجزة لازمة أو غير لازمة ؟ هل كان لها أثر مشهود في الإقناع بالدعوة كما ينبغي لكل معجزة . أو كانت في تاريخ الدعوة عملا بغير أثر ولغير ضرورة ؟

ذلك أن الله جل وعلا يضع قوانين الطبيعة لحكمة ويخرقها لحكمة ، وتعالى الله عن العبث في غير معنى . فلا يكون خرق القوانين وخلق المعجزات لغير قصد يعلمه شهود المسجزة التي تخالف مألوفهم ويجري العادات أمامهم كل يوم

وقد أشرنا إلى ذلك في كتابنا عن عبقرية محمد حين قلنا إن «علامات الرسالة الصادقة هي عقيدة تحتاج إليها الأمة . وهي أسباب

نتمهد بظهورها ، وهي رجل يصطلع بأمانتها في أواب . فإذا تجمعت
 هذه العلامات فإذا ينبغي أن علامة ؟ وإذا تعدر عنها أن تجمع في
 علامة غيرها سوب عنها أو يعرض ما نقص منها ؟ وقد حذر محمد بن
 عبد الله يكون رسولا مشر بليس . وإذا فلأني شيء ، حلق ؟ ولأني
 عمل من أعمال الحياة ترشحه كل هاتيك المقدمات والتوقيفات . وكل
 هاتيك المناقب والصفات ؟ لو اشتغل بالتحارة طول حياته كما اشتغل بها
 فترة من الزمن لكان تاحرا أميا ، حقا موثوقا به في سوق شحار
 والشراف . ولكن التحارة كانت شغل بعض صفاته ثم بطل صفته ، العليا
 معطلة لا حاجة إليها في هذا لعمل منها يتسع له المجال ، ولو اشتغل رعا
 بين قومه لصلح للرعاية ولكن الرعاية لا تستوفي كل ما فيه من قدرة
 و استعداد . فالذي أعده له زمانه وأعدته له فطرته هو الرسالة العالمية دون
 سواها . وما من أحد قد أعد في هذا لداء لرسالة دسة إن لم يكن محمد
 قد أعد لها أكمل إعداد

وغدا عن بشارت الرسالة المحمدية إن المشرحين « يجهدون أقلامهم غاية
 الجهد في استقصاء بشارت الرسالة المحمدية يسردون ما أكدته الرواة منها
 وما لم يؤكدوه وما قبله الثقات منها وما لم يقبلوه ، وما أبدته الحوادث أو
 ناقضته ، وما وافقته العلوم الحديثة أو عارضته ، ويتمرقون في الرأي
 والحوى بين تفسير الإيمان وتفسير العيان وتفسير المعرفة وتفسير الخيالة .
 فهل يستطيعون أن يكتشفوا الحطة واحدة في آثار تلك البشارات التي حققت
 الميلاد أو صاحبت الميلاد حين ظهرت الدعوة و سماح أمر الإسلام ؟

« لا موضع هنا للاختلاف .

« هـ من إشارة فقد من تلك لبشائر كان لها أثر في إقناع أحد بالرسالة يوم صدع لني بالرسالة ، أو كان ثبوت الإسلام متوقفا عليها ، لأن الذين شهدوا العلامة ارمعومة يوم الميلاد لم يعرفوا يرشد مغزاها ومؤداها ولا عرفوا أنها علامة على شيء ، أو على رسالة ستأتي بعد أربعين سنة . ولأن الدين سمعوا بالدعوة وأصاحوا إلى لرسالة بعد الشائر أربعين سنة لم يشهدوا بشارة واحدة منها ولم يحتاجوا إلى شهودها ليؤمنوا بصدق ما سمعوه واحتاجوا إليه وقد ولد مع النبي عليه السلام أطفال كثيرون في مشارق الأرض ومعاربها فإد حار للمصدق أن يسمها إلى مولده جار للمكابر أن يسمها إلى مولد غيره ولم تفصل الحوادث ما بين مصدقين والمكابرين إلا بعد عشرت لسنين ، يوم تأتي الدعوة بالآيات والبراهين عنية عن شهادة الشاهدين وإبكار المكربين . أما العلامة التي لا التباس فيها ولا سبيل إلى إبنكارها فهي علامة الكون أو علامة التاريخ قالت حوادث لكون لقد كانت الديبا في حاجة إلى رسالة ، وقالت حقائق التاريخ لقد كان محمد هو صاحب تلك الرسالة . ولا كلمة لقائل بعد علامة الكون وعلامة التاريخ . »

” “ “

على هذا المحث البسيط يعرف أخبار الخوارق والمألفات في تاريخ دعوات السوية . وينبغي أن يقرر في هذا المقام لأنه مقامه الذي ذكر فيه - أن المؤرخ المسلم الذي يكتب بالآيات لكونية إنما يختار الصريق لأنه طريق واضح المعام امامه وامام اساطير الدين يعملون بهدية الاسلام في تدبير الآيات والحث عن حقائق الموحودات . ولكنه لو شاء بإحد يديه ذخيرة من الطوابع والسيووات التي يعتمد أتناع الأدبان

المختلفة على أمثاله ، وقد مر عنهم أن يحدوا أمثاله في المصادر التي يؤمنون بها ولا يشكون . فلا يعتمد المؤرخ المسلم على الآيات الكونية لقلة الطوالع والسوءات التي يشوب إليها - لو شاء - كما ينوب غيره . وإنما يعتمد توثيقا للبيئة وإثباتاً لأفضل الحسين في مقام المقابلة بين التشبهات

ومن الحسن أن تأتي على أمثلة من الطوائع والسوءات التي وجد فيها بعض المؤرخين المسلمين شواهد على ظهور النبي عليه اسلام مكتوبة قبل أو ان ظهوره بعشرات القرون ويلاحظ أن هؤلاء المؤرخين ، أو أكثرهم ، من فصلاء الهند وفارس والأهم السرقية التي تشكلت غير لعربية . وسر ذلك أنهم ورثوا في بلادهم صرايح الديانات السابقة ولم يشاءوا أن تكون هذه الطوالع مرايا خاصة تنفرد بها تلك الديانات ويعجزون هم عن الإنياد سطورها التي تقابلها في كفة لديانة الإسلامية فهم يتوحدون إلزام الحجة بالدليل المائل ولا يعيهم فعلاً أن يحدوا ذلك الدليل مسوداً أو راجحاً في الدلالة على أدلة المتقدمين من أبناء الملل العارفين ونحن نورد هنا بعض الأمثلة التي يستدعيها المقام ولا نعد إجمالاً في تمهيد يحيط بجميع الشواهد والمقدمات ولو على سبيل الإحسان

من هذه الكتب كتاب مادلعة الإنجيلية ألفه « مولانا عبد الحق ديارنى » وسماه محمد في الأسفار الدينية العالمية « واستفاد من مقارناته ومناقضاته معرفته لفارسية واحدة وبعربية والعربية وبعض اللغات الأوروبية . ولم يقنع فيه بكتب التوراة والإنجيل بل عجم البحث في كتب فارس وأند وابل القديمة وكانت له في بعض أقواله تبعات تصارع

أقوى ما ورد من نظائرها في شواهد لتدبير كافة ، ولا نذكر أننا اطلعنا
على شاهد أقوى من روايات الأقدمين أو لمحدثين من أنواع الديانات
الأولى أو الديانات الكتابية

ويقول الأستاذ عبد الحق بن اسم الرسول لعربي « أحمد » مكتوب
بخطه العربي في السامفيدا (Sama Veda) من كتب البراهمة . وقد
ورد في لفقرة سادسة واهقرة ثمانية من الجزء الثاني ونصها أن « أحمد
نبي الشريعة من ربه وهي ملوءة بحكمة وقد قسمت منه أسور كما يقس
من الشمس »

ولا يخفى مؤرخ وحوه لأعرض التي قد تأتي من جانب مفسرين
لبرهيين . بل ينقل عن أحدهم (سينا أشاريا) Syna Acharya أنه
وقف عند كلمة « أحمد » فالتمس لها معنى هديا وركب من ثلاثة مقاطع
وهي « هم » و « ات » و « هي » وحاول أن يجعلها تعيد « أنني
وحدى بخلق الحكمة من أبي » قال الأستاذ عبد الحق ما فحوه أن
العبارة معسوبة إلى البرهمي « باترا كاه » Kava من أسرة كاه .
ولا يصدق عليه لقل بأنه هو وحده نبي الحكمة من أبيه

ويريد الأستاذ عبد الحق على ذلك أن وصف الكلمة المعطمة
نابت في كتاب الآثارا فيدا Atharva Veda حيث يسميها الكتاب
بيت الملائكة ويذكر من أوصافه أنه ذو جواب ثمانية ودو أبواب تسعة
والمؤلف يفسر لأبواب تسعة بالأبواب المؤدية إلى الكلمة وهي باب
اهم و باب الودع و باب لصفا و باب عني و باب عباس و باب النبي

وباب السلام وباب الرياسة وباب حرم ، ويسرد أسماء الحيوانات الثمانية حيث ملتحق الجبال وهي في قوله حل خلج وحل قيقعان وحل هدى وحل بعل وحل كدا وحل أبي حديد وحل بي قيس وحل عمر ويصرب المؤلف صفحا عن تفسير البرهمنين معنى لبست هذا منه جسم الإنسان ومافده ولا يذكره لأنه على ما يصهر تخالف الهندسة الروحية في البرهية . ولا يأتي بتفسير للحيوانات الثمانية عند تفسيره للأبواب بذلك المعنى

وفي مواضع كثيرة من الكتب - مهمة يرى المؤلف أن السلي محمد يذكر مصفحة من معنى حيد كك وسبعة أعداد ومن ثمثه مصفحة اسم مث فا Sushrta من و ث في كده لأن فا فدا Atharva Veda حيث ر إل حرب حل مكة وهرية عشرين وأسى ثا مع تسعة وسعين ه وهم على تقدير المؤلف عدد حل مكة وعماء محائل الكدر ووكلانهم صعدر كي كده ه ه فانتير سبي صاير ه ه

وللمؤلف صير طوبى على توفيق هذه العلامات وأشاهها يستخرج منها الطالع بعد الطالع وسوءة إلى جانب سوءة مما يعنى المثل عليه عن استقصاء جميع موافقته وعلاماته

وكذلك صنع كتب رد دشت لتي اشهرت باسم الكتب المجوية فاستخرج من كتاب رنداقت Zend Avesta سوءة عن الرسوم يوصف بأنه رحمة نعيمين «سوشيت» Soeshyant وبتصدي له عدو سمي بالدرسية القدعة أو طب Angra Mainyu . ويدعوا إلى إله واحد

يكنى له كنهوا أحد (هيج حير ماومار) وليس له أول ولا آخر ولا صريع
ولا قريع ولا صاحب ولا أب ولا أم ولا صاحبة ولا ولد ولا ابن ولا
مسكن ولا جسد ولا شكل ولا لون ولا رائحة

« جز آثار وانحام اباد ودمش وماند ويار وندر ومادرورن وهررب
وحاي سوى وتن آسا وتنائي ورنك وبوى است »

وهذه هي جملة الصفات التي يوصف بها الله سبحانه في الإسلام .
أحد صمد ليس كمثله شيء ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كنهوا أحد ولم
يتحد صاحبة ولا ولدًا

ويشتمع ذلك بمقتبسات كثيرة من كتب الزردشتية تنبئ عن دعوته
حق التي يحيى بها التي تعود وفيها إشارة إلى سادية العربية . ويترجم
سدة منها إلى اللغة الإنجليزية معناها غير تصرف « أن أمة زردشت حين
يبدون دينهم يتصممون ويهض رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه
فارس ويخصع الفرس المنكرين . وبعد عمادة الدار في هياكلهم يولون
وجوههم نحو كعبة إبراهيم التي تظهر من الأصنام ، ويومئذ يصحون
وهم أتباع للتي رحمة للعالمين وسادة لفارس ومديان وطوس وسخ .
وهي الأماكن المقدسة للزردشتيين ومن حاورهم . وأن بسهم مكهن
فصيحاً يتحدث بالاعجازات » (١)

وقد أشار المؤلف بعد البدايات الآسيوية الكبرى إلى فقرات من كتب
عهد القديم ولعهد احدث فقال إن لى عنه السلام هو المقصود بـ

جاء في الإصحاح الثالث وثلاثين من سفر التثنية « جاء الرب من
مساء وأشرق من سحر وتلألأ من جبل فاران وفي من ديوته لقدس
ومن مكنه نار شريعة لهم »

وجاء بالنص العبري كما يلي

« ويومر هووه مسياني به وزارح مسعير لأمو هو فيع مهر بارب وان
مر بيوت قودش ميميفو ايش داث لأمو »

وترجمته هكذا : « وقال أن الرب جاء من مساء وهبص من سحر
لهم وسطح من جبل فاران جاء مع عشرة آلاف قديس ، وخرج من
منه نار شريعة لهم »

وقال إن الشواهد القديمة جميعاً تسمى عن وجود فاران في مكة .
وقد قال المؤرخ حبروم واللاهوتي يوسيبوس Eusebius « أن فاران بلد
عند بلاد العرب على مسيرة ثلاثة أيام إلى الشرق من اينة »

ونقل عن ترجمة تورااة السامرية التي صدرت في سنة ١٨٥١ أن
سما عيل « سكن بيرة فاران بالحجار وأحدث له أمة امرأة من أرض
مصر » ، ثم قال إن سفر العدد من العهد القديم يفرق بين سيباء وفاران إذ
جاء فيه أن بني إسرائيل ارتحلوا « من بيرة مساء ، فحلت السحابة في
بيرة فاران » ولم يسكن أبناء إسماعيل قط في عرب سيباء فيقال إن
جبل فاران ومع إلى غربها . وفي لأصحاح الثالث من كتاب حقوق أن
« الله جاء من بيهان والاندوس من جبل فاران » فهو إذن في الجنوب
حيث تقع تيهان عوصعها الذي تقع فيه اليمن مرادفها بالعربية « لم يحدث

قط أن سيا سار بقيادته عشرة آلاف قديس غير النبي محمد عليه السلام ،
 وقوديش ترجم بقديس في رأى المؤلف الذى يناقش ترجمتها
 بالملائكة في الترجمات الأخيرة كذلك لم يحدث قط أن سيا غيره جاء
 بشريعة بعد موسى بكلم . فقوب موسى الكبير « إن سيا مثلى سيهم لكم
 الرب الحكيم من حوتكم أبناء إبراهيم » يصدق على نبي من أبناء إبراهيم
 تقدمه في الزمن . ويرجح المؤلف أن مدينة الى تعلم فيها موسى عليه
 السلام في صحبة يثرون - أى شعيب - لم تكن هي مديان الأولى التي
 بحرت بالزلزال كما جاء في القرآن الكريم . ولكنها كانت « مدينة »
 الحجار التي سميت يثرب على اسم يثرون ، ومما يعزز ذلك أن طلبموس
 لجرافى يقول بوجود موضوعين باسم مديان وإب كان قد حط على رأى
 المؤلف في تعيين موضوعين . وقد جاء في سفر التكوين أن مداد بن
 إبراهيم ابني سميت مديان الأولى باسمه كان به أخ معه عفار . وهو الذى
 يقول بوبل Knobel شارح التوراة أن دريته كانت نزل في عهد بعثة
 الإسلاميه إلى حور يثرب . وعمل موسى تلقى سمه في ذلك الحوار إذ
 كانت نسميته العربية أرحح من نسميه المصرية أو العبرية . فإن ابنة
 هرعول لا نسميه بالعبرية ولا يسميه بها من يريد خلاصه من مصير
 المولودين العبريين . وصحيح أن كلمة ميسو Mesu بالمصرية معناها
 الطعن كما يقول بعض الشراح المحدثين . ولكن اليهود لا يرحسون سيهم
 ويخرجهم من أرض مصر اسما مستعرا من المصريين

ومن الجامعات التي عُنيت عناية خاصة بهذه لسوءات جماعة
الأحمدية الهندية التي ترجمت القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية . فإنها
أفردت لسوءات والطوائع عن ظهور محمد عليه السلام بحثاً مسهباً في
مقدمة الرحمة شرحت فيه بعض ما تقدم شرحاً مستفيض ورادت عليه
سوءة موسى الكليم تشتمل على ثلاثة أجزاء : وهي التجلي من سياء وقد
حصل في زمانه والتجلي من سفير أو حمل اشعر وقد تجلى في زمن لسيد
المسيح . لأن هذا الخيل على قول الجماعة الأحمدية واقع حيث
يقيم أبناء يعقوب الذين اشتهروا بعد ذلك بأبناء أشعر : وأما التجلي
الثالث فمن أرض فار . وهي أرض التلال التي بين مدينة ومكة . وقد
حاء في كتاب فصل الخطاب أن الأبطال يحبون الحجاج في تلك الأرض
بالرياحين من « بركة فار » وقد أصبح أبناء إسماعيل أمة كبيرة كما
حاء في وعد إبراهيم فلا يسعهم شريط من لأرض على تحوم كنعان .
ولا وجه للإبكار مقامهم حيث أقام العرب المتسبون إلى إسماعيل ولا
باعث لهم على انتحال هذا النسب والرجوع به إلى حارية معروده من
بيت سيدها وقد حاء في التوراة أسماء ذرية إسماعيل الذين عاشوا في
بلاد العرب . وأوهم سايبوت أو نبت أبو قنائل قريش . الذي يقرر
الشارح كاتريكارى Katripikari إنه أقام بدريته بين فلسطين وبنع ميناء
نرب . وبفرو بطيموس ويسى أن أبناء قنور - قيثار الابن الثاني
لإسماعيل قد سكنوا الحجار . ويصيف المؤرخ اليهودي يوسفوس
إيهم أبناء أدبيل لابن الثالث في ترتيب العهد القديم . ولا حاجة إلى
نبحث تطويل عن مقام أبناء دومة وتيماء وقدامة وأكثر إخوانهم الباقين
في الأماكن التي نسب إليهم لا تتراب معروفة بأسمائها إلى الآن . ومن

سوءة أشعيا لتي سبقت موند السيد المسيح سعمائة سنة يظهر حيا أن أسماء
إسماعيل كانوا يقيمون بالحجار . في هذه النبوءة يقول النبي أشعيا من
الأصحاح الحادى والعشرين : « وحي من جهة بلاد العرب تبيتين
يا قوافل الددانيين هاتوا ماء للملافة العطشان يا سكان أرض تيماء .

واهم احارب حربه فيهم من ماء لسوء قد هربوا من امام السيف
المسلول ومن امام القوس المشدودة ومن امام شدة الحرب . فانه هكذا
قال في السيد في مدة سنة كسنة الأخير حتى كل محد قيدار »

ويعود المنسرون من الجماعة الأحمدية فيمسررون هزيمة قيدر
هزيمة لكبير في وقعة ندر . وهى الهزيمة التي حلت بهم بعد هجرة النبي
الى المدينة بنحو سنة كسنة الأخير

ويفرنون هذه النبوءة نبوءة أخرى من الأصحاح الخامس في سفر
أشعيا يقول فيها « ويرفع راية للأثم من بعيد ويصفر هم من أقصى
الأرض فإدا هم بالعهلة يأتون . ليس فيهم رازح ولا عاثر . ولا
يعسون ولا يامون ولا تنحل حرم أحقائهم ولا تقطع سيور أحديتهم
سهمهم مسوية وجميع فيهم ممدودة . حذروا خدعهم كأنها الصيوان
ومكرائهم كالروسة »

وهذه النبوءة عن رسول يأتي من غير أرض فلسطين لم تصدق على
أحد غير رسول الإسلام

وتلحق هذه النبوءة نبوءة أخرى من الإصحاح الثامن في سفر أشعيا
جاء فيها أن الرب نذره لا يسلك في طريق هذا الشعب فائلا
« لا تخفوا فتنة لكل ما يقول له هذا الشعب فتنة ولا تخفوا خوفه

ولا ترهبوا . قدسوا رب الخنود فهو خوفكم وهو رحمتكم . ويكون مقدسا وحجر صدمة وصخرة عثرة لبنى إسرائيل وفحا وشركا لسكان أورشليم فيعثر بها كثيرون ويسقطون فينكسرون ويلقون فيلفطون . صر الشهادة أحتم الشريعة بتلاميذى . و صطبر للرب السائر وجهه عن بيت يعقوب وانتظره »

هذه النبوة عن رسول الله الذى يختم الشريعة تصديق على نبي الإسلام ولا تصديق على رسول جاء قبله ولا بعده .

وتلحق هذه لسوء أيضا نبوة من الأصحاح التاسع عشر في سفر شعب يذكر فيها إيمان مصر بالرسول المنتظر » وفي ذلك اليوم يكون مديح الرب في وسط أرض مصر وعمود الرب عند تخمها . فيكون علامة وشهادة رب الخنود في أرض مصر لأهم يصرحون للرب . بسبب لمصايقين فيرسل لهم مخلصا ومحميا وينقدهم فيعرف الرب في مصر ويعرف المصريون الرب في ذلك اليوم فيقدمون ذبيحة وتقدمة وتندرون للرب ويعرفونه ويصرب الرب مصر صربا مشايها فيرجعون إلى الرب فيستحيب لهم ويشفيهم في ذلك اليوم تكون سكة مصر إلى أشور فيجىء الأشوريون إلى مصر والمصريون إلى أشور ويعد المصريون مع لأشوريين في ذلك اليوم يكون إسرائيل ثالثا لمصر ولأشور بركة في الأرض . بها يبارك رب الخنود قائلا . مبارك شعب مصر وعمل يدي أشور وحماني إسرائيل »

لدى حدث عن قدوم أهل العراق إلى مصر وذهاب أهل مصر إلى العراق إنما حدث في ظل الدعوة الإسلامية ولم تتوحد لعادة بهم من

تلك الدعوة ، وأن النوء في ستم عدا على غير ما يهواه سر إسرائيل . إذ
تكون البركة لمصر وأشور ولا تكون إسرائيل ، لا لاحقة لكلتا الأمتين

٥ ٢ ٥

ثم يستملون بالبوءات إلى سعر دانيك حيث جاء في الأصحاح
الثاني . أنت أيها الملك كنت تنتظر ويد تمثال عظيم هذا التمثال
العظيم انتهى حده وقف قدانك ومصره هائل رأس هذا التمثال من
ذهب حيد ، وصدره وذراعه من فضة ، وبطنه وفخذيه من نحاس ،
وساقاه من حديد ، وقدماه معصهما من حديد والعص من حيزف كنت
تنتظر إلى أن قطع حجر بغير يدين فصر التمثال على قدميه لتبين من
الحديد ونحرف معصهما فاسحق حيث الحديد ونحرف والفصاة
ولنحاس ولفضة وذهب معاً وصارت كعصافة ليدري لصيف
فحملها الريح فم يوحد لها مكان . ثم انحدر الذي صرت التمثال فصار
حبلًا كبيرًا وملاً الأرض كلها »

ويلى ذلك تعبير النبي دانيال هذا الحلم إذا يقول . « أنت أيها الملك
ملك موث لأن إله السموات أعطاك مملكة واقتداراً وسطاً وفجراً ،
وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دفعها ليدك وسقطها
عليك جميعها . فأنت هذا الرأس من ذهب وبعدك تقوم مملكة أخرى
أصغر منك ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الأرض
وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد بدق ويسحق كل شيء ، وك حديد
الذي يكسر سحقاً ويكسر كل هؤلاء ونما رأيت القدمين والأصابع
معصهما من حيزف والنحاص من حديد فالمملكة تكون مقسمة وتكون فيها

قوة كالحديد من حيث إنك رأيت الحديد محتطاً بحرف لطيف وأصابع القدمين بعضها من حديد وبعضها من حرف فبعض المملكة يكون قوي والعص قصيا ، وما رأيت الحديد محتطاً بحرف لطيف وإنهم يختلطون مثل الناس ولكن لا يتلاصق هذا بذاك كما أن الحديد لا يلتصق بالحرف . وفي أيام هؤلاء الملوك يقم له السموات ممدكة لن تقرر أن هذا ومبكي لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفتى كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا يبدى ، فسحق الحديد والنحاس والحرف والعص والذهب الله اعظم قد عرف الملك ما سيأتي بعد هذا الحلم حق وتغيره يمين »

وتعود الجماعة الأحمدية إلى التاريخ لتستمد منه التعليق على تعبير لبي دنيان لتلك الرؤيا ، هي كلام لبي دنيان يفهم أن لرأس انهبي هو ميت بابل . وأن الصدر والذراعين من القصعة تعبر عن ممكة فارس وميدية التي ارتفعت بعد دولة بابل ، وأن الرحلين من النحاس تعبر عن لدولة الإغريقية في ظل الإسكندر لقيامها بعد رول حكم لفارسين والميديين ، وأن انقدمين من الحديد تعبر عن الدولة الرومانية لبي رفعت بعد دعت ملك الإسكندر . وتقرب لرؤيا عن هذه الدولة لأخيرة أن قدما من قدميها حرف والأخرى حديد . وهو وصف يشير إلى جزء من الدولة في القارة لأوربية وجزء منها في القارة الآسيوية ، فانهدم حديد هي سيطرة الأمة الواحدة والعقيدة الواحدة وهذه السيطرة ستبنى على أقطار شاسعة وموارد غزيرة ولكن تنطوي على الضعف لكان من جزاء التهلكة بين أوصال الشعوب . والرؤيا صريحة في وشك الحلال الدولة الرومانية في السموات الأخيرة لهذا السب .

وتستطرد من ثم إلى أمور أهم واحظر إذ تقول «إليك كنت تنظر إلى أن
قطع الحجر بغير يدين ف ضرب امتثال على قدميه اللتين من حديد وحرف
ف سحقها . فاسحق حيثئذ الحديد والحرف والنجاس والفضة والذهب معا
وصارت كعصفرة اليلدرى الصيف فحملتها الريح فلم يوحد لها مكان .
أما الحجر الذى ضرب التماس فصار جلا كبيرا وملا الأرض كلها . . »

تقول الجماعة : « فهذه نبوءة بظهور الإسلام فقد اصطدم
الإسلام في صدر الدعوة بدولة الرومان ثم بدولة فارس ، وكانت دولة
الرومان يومئذ قد بسطت سلطانها على ملك الإغريق الإسكندري فتغت
من المنعة غايتها . وكانت دولة فارس قد بسطت سلطانها على بابل ، ثم
ضربها قوة الإسلام فاسحق حيثئذ الحديد والحرف والنجاس والفضة
معا وصارت كعصفرة اليلدرى الصيف . وهكذا يبئ ترتيب الحوادث
وتعيرها في رؤيا دنياي أساء لا ريب في معناه . إذ كنا نعلم أن بابل
حلقتها فارس وميدية وأن سطوة فارس وميدية كسرها سطوة
الإسكندر . وأن ملك الإسكندر حلقت الدولة الرومانية التي إقامت من
عاصمتها القبطية أركان مملكة أوروبية آسيوية . ثم انهزمت هذه
مملكة وأدال منها الفتح الإسلامى وغزوات لى والصحابة »

وهذا الحجر الذى جاء في رؤيا دنياي يذكره أشعيا والحوارى متى .
ففي لأصحاح الثامن من سفر أشعيا أنه « يكون مقدس وحجر صدمة
وصخرة عثرة لكل من بنى إسرائيل ، ومحا وشركا لسكان أورشليم ،
ويعثر بها كثيرون ويسقطون ويلقون فيمقطون »

وفي الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل متى يقول . « لذلك

قول لك إن ملكوت الله يترع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترصض ومن سقط هو عليه سحقه »

كذلك يذكره المزمور الثامن عشر بعد المائة إذ يقول « أن الحجر لدى رقصه الساعون قد اصبح عقد السماء وركن الروية »

ويتبين من كلام السيد المسيح في الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل متى المتقدم أن هذه السوءة نسي عن زمن غير زمن السيد المسيح . إذ يقول عليه السلام . « ما قرأتم قط في الكتب أن الحجر الذى برقصه البناءون قد صار رأس لراوية فمن قل ارب كان هذا هو عجيب من أعيننا »

ثم تفصي النبوة - سوءة اسى ديبال - إلى عفاها فيصبح الحجر حلا عظيما ويملا لأرض كلها فإن هذا الذى حدث بعد انتشار الدعوة الشمعية فإن الرسول الكرم وصحابته هزموا قصر وكسرى وأصبح المسلمون سادة العالم المعمور كله في ذلك العصر ، وصار الحجر جيلا عظيما فضل زمام العالم في أيدي أتباع محمد ألف سنة

ثم تتم سوءات العهد القديم بسوءات العهد الجديد ، ويستشهد جماعة الأحمدية بالأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل متى حيث يقول السيد المسيح : « اسمعوا مثلا آخر . كان إنسان رب بيت عرس كرمًا وإحاطه سياج وحفر فيها معصرة وبني برجا وسلمه إلى الكرامين وسافر ولما قرب وقت لإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره . فأخذ الكرامون عبيده وحسدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا ، ثم أرسل إليه سيده أحرارًا قائلاً لهم هايون أبى . فأما الكرامون فلما رأوا الأس قالوا فلما

بيهم هذا هو الوارث هموا بقتله وأخذ ميراثه فأخذوه وأخرجوه
خارج الكرم وقتلوه . فبنى حاء صاحب الكرم فنادى يفعل أولئك
الكرامين ؟ قالوا له أنه يهلك أولئك لأردياء هلاكاً ردياً ويسلم الكرم
إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها . قال لهم يسوع . أما
قرئتم قط في الكتب أن الحجر الذي رفضه الساعون قد صار رأس
الزاوية ؟ . من قبل الرب كان هذا هو عجب في أعيننا . لذلك
أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره . ومن
سقط على هذا الحجر يترصص ومن سقط هو عليه يسحقه ولا يسمع
الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم ، وإذا كانوا يريدون أن
يمسكوه خافوا من الجموع لأنه عندهم مثل نبي .

هذا المثل سمعته كتاب المقدمة لترجمة القرآن فيقولون إن السيد
المسيح قد لخص به تاريخ الأنبياء والرسل أجمعين . فالكرم هو الدنيا
والكرامون العاملون فيه هم الجنس البشري الكادح في دنياه . والثمار
التي يريد صاحب الكرم أن يحصنها هي ثمرات لمصلحة والخير والتقوى .
والخدم الموفدون من صاحب الكرم إلى الكرامين هم الرسل والأنبياء .
ولما جاءهم السيد المسيح بعد اعرضهم عن الرسل والأنبياء فعدوا به
وأكروه عوقبوا بتسليم الكرم إلى كرامين آخرين وبيع ملكوت الله منهم
لتعطاه الأمة الأخرى الموعودة بالبركة مع أمة إسحاق ، وهي أمة
إسماعيل ونبينا العظيم محمد عليه السلام ، وهو الذي يصدق عليه وعن
قومه أنهم كانوا الحجر المرفوض فأصبح هذا الحجر رأية الساع من سقط
عنه رصه ومن أصيب به فهو كذلك مرفوض .

وتلو هذه لسوءه في إنجيل متى بسوءه متممة من الإنجيل نفسه حيث
جاء في الإصحاح الثالث والعشرين منه حطاً على إسرائيل ، هو ذا
بيتكم يترك لكم حراماً ، لأني أقول لكم إنكم لا تروني من الآن حتى
تقولوا مبارك الآتي باسم الرب .

وفي الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا نبأ يحيى المعتسل أو يوحنا
المعمدان مع الكهنة والملادين . إذ سألوه من أنت ؟ فأعترف ولم ينكر
وقال إني لست المسيح . فسألوه : إذن ماذا ؟ أنت إيليا ؟ فقال لا
قالوا أنت نبي ؟ فأجاب : لا فقالوا له : من أنت لتعطى حواما
لندين أرسلونا ؟ ماذا تفعل عن نفسك ؟ قال أنا صوت صاخر في
البرية ، قوموا طريق الرب كما قال أشعيا النبي .

ويعقب أصحاب المقدمة للرحمة لقراءة على هذه لبيوات فيقول
إيها كانت ثلاثاً في عصر الميلاد مسيحي كما هو واضح من الأسئلة
والأجوبة . بسوءة عن عودة السيد المسيح ، وبسوءة عن نبي موعود غير
إيليا والسيد المسيح

ونقد أعس السيد المسيح كما جاء في الإصحاح الحادي عشر من
إنجيل متى « أن جميع الأنبياء والمعمدين إلى يوحنا تسأوا ، وإن رُدتم
أن تقبلوه فهذا - أي يحيى المعتسل هو إيليا المزمع أن يأتي »

ووصح من الإصحاح الأول من إنجيل لوقا أن الملك بشر زكريا
بأن امرأته ستلد له ولد وتسميه يوحنا « وأنه يكون عظيماً أمام الرب
لا يشرب خمر ولا مسكراً ويمتلي من بطن أمه بالروح القدس ويرد

كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم ، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته
ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء . »

وفي الأصحاح التاسع من إنجيل مرقس يقول السيد المسيح « إن
إيليا أبصاً قد أتى وعملوا به كل ما أرادوا كما هو مكتوب عنه »

ويتكرر ذلك في إنجيل متى إذ يقول « إن إيليا قد جاء ، ولم يعرفوا
بل عملوا به كل ما أرادوا » .

فالنبي إيليا قد تقدم إذن في عصر الميلاد ، وقد جاء فيه المسيح أيضاً
ثم بنى السبي الموعود ولم يظهر بعد السيد المسيح نبي صدفقت عليه
لصفات الموعود عبر محمد عليه السلام . وكلام السيد المسيح في
لأصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا بين التلاميذ « أنه حير لكم أن
نطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتاكم المعري ، ولكن إن ذهب أرسه
إليك ، ومتى جاء ذلك يسكت العالم على خطيئة وعلى بر وعلى دينونة
فأما على خطيئة فلاهم لا يؤمنون بي . وأما على بر فلأني ذاهب إلى أبي
ولا ترونني أيضاً ، وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين ، وأن
لدي أمور كثيرة أقولها لكم ولكن لا تستطيعون أن تسمعوها الآن ، وأما
متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى الحق جميعه ، لأنه لا يسكنكم
من بعده بل كان ما يسمع تكلم به ويحرككم بأموالتيه . ذلك يحدسني
لأنه يأخذ مما لي ويحرككم . وكل ما لأب فهو لي . قد قلت إنه يأخذ
مما لي ويحرككم وبعد قليل لا تصرونني . » .

وقد جاء نبي لإسلام محمد ، للسيد المسيح بسميه روح الله ويحدد
رسالته لأهل رسالة الله .

وبعد تأويلات شتى من قبيل ما تقدم تحتم الجماعة الأحمدية عنها
بالإشارة إلى ما جاء في الأصحاح الثالث من أعمال الرسل الذى ينسئ
عن تنافع النبوءات من صمويل إلى السيد المسيح بظهور نبي كموسى
الكلم صاحب شريعة يحقق الوعد لأبناء إبراهيم ويبارك جميع قبائل
الأرض ، ويكون هذا النبي من إخوة نبي إسرائيل لا منهم ، فهو من
ذرية إسماعيل لا من ذرية إسحاق .

إن أبناء الهند وأبناء فارس - كما قدمنا - قد توهموا على هذا
الدأب فى استخراج حفايا الكلمات والحروف وانقابلة بين المصامير
والتأويلات وإتمام أجزاء منها بأجزاء متفرقة فى شتى المصادر والروايات ،
ولكنهم لم ينفردوا بالبحث فى هذه النبوءات وهذه الطوائع خاصة
وجاراهم فيها الباحثون من سائر الأمم واحتجعت فى كتاب فتح المسك
العلام فى بشارت دين الإسلام (١) متفرقات لم يرد فيها أصل من
البحوث الهندية ، أو وردت عن شئ غير مسيحها ، تلخص بعضه فيما
يلي ولا نستقصيه لأنه يقع فى أكثر من مائتين وستين صفحة

ويعتمد المؤلفان على الأصحاح الخامس ولعشرين من سفر التكوين
إذ جاء فيه أن أبناء إسماعيل سكنوا « من حويلة إلى شور التى أمام مصر
حيما تجىء نحو أشور » فهم إذن سكن الحجاز لأن الحجاز هو الأرض
الننى بين أشور وحويلة إذ كانت حويلة فى اليمن كما جاء فى الأصحاح
العاشر « إن يقطان ودد الموداد . وشالف ، وحضر موت ، وبارح ،

(١) مؤلفيه الأستاذين أحمد توجان ومحمد حبيب

وهد . ورام . وأورال . ودقنة . وعوبال . واسيايل . وشا . وأوفير .
 وحويلة . ويوباب جميع هؤلاء سويقطان « سكان الأرض البمانية
 ويعتمدان كذلك على وعد إبراهيم الخليل في سفر التكوين « لأنه
 بإسحاق يدعى لك سسل واس الحارثة أيضا سأجعله أمة لأنه
 سنك » وإنما شرط الوعد لأبناء إسحاق باتناع وصايا الرب وألا
 يعدوا إليها غيره وإلا فهم يبدون سريعاً عن الأرض الحيدة كما جاء في
 الأصحاح الحادى عشر من سفر التثية وقد عبد القوم أربابا غير الله
 واتخذوا الأصنام والأوثان كما جاء في موضع كثيرة من كتب العهد
 القديم .

وبما اعتمد عليه المؤمنون رؤيا النبى دنيال .

وفي الأصحاح التاسع منها يقول « سبعون أسبوعاً مفصية هي
 شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكبل المعصية وتتمم الخطايا ولكمارة
 الأثم ويؤتى بالبر الأبدى ولحم الرؤيا والسوة ويسبح قدوس القديسين .
 فأعلم وأفهم أنه من حروح الأمر لتجديد أورشليم وبثها في المسيح
 الرئيس سبعة أسابيع واثنا وستون أسبوعاً يعود ويبنى مجد وحلج في
 صيق الأرملة . وبعد اثنين وستين أسبوعاً يقطع المسيح وشعبه ريس
 تت يحرر المدينة والقدس ونهاؤه سمارة . وفي النهاية حرب
 وحروب وعلى حجاج الأرجاس »

وهذه الحامة هي التي تم كما جاء في سفر أشعيا « على يد شعب بعيد
 من أقصى الأرض » أو كما جاء في سفر التثية « أن الرب يخلص أمة من
 بعيد من أقصى الأرض . ثم يرددهم إلى مصر في سمن »

وقد تم ذلك حين استدعى الرومان حاكم بريطانيا الكبرى ومعه جيش بكل ما يهود وحمص طائفة منهم أسرى إلى مصر وطائفة إلى رومة من طريق البحر سنة ١٣٢ هـ ثم انتهت حرب الرومان سنة ٧٠ ميلادية من حامت بعدها تلك الحرب التالية مصادفة لنشوء الدمار على يد القادم من بعد وسوء النقل على السفن إلى الديار المصرية وما وراءها

يقول المؤلفان ، ويعتمدان في ذلك على إجماع شرح . أن اليوم من أسابيع ديار سنة ، وأما إذا صعدنا أربعين سنة ونسبعين سنة إلى سنة ١٣٢ فتلك سنة ٦٢٢ التي هاجر فيها النبي عليه السلام إلى مدينة يثرب ، وبعد أربع عشرة سنة دخل جيش الإسلام القدس الشريف وبني المسجد الأقصى في مكاب هيككل . وكان الفرس قد منكوا فلسطين أربع عشرة سنة أباحو فيها لليهود إقامة شعائرهم ثم عاد الرومان وتلاههم المسلمون فكانت السور التي مصت بعد انهجره السورية مقاتلة لتلك السير التي ارتفع فيها الحجر عن اليهود على عهد الدولة الفارسية

• • •

هذه العلامات بما هي عايد لإصعاف أصعافها لم تحصرها لإياها تستغرق مئات الصفحات ولا يلزمها حصرها جميعاً لأن لأمانة المتقدمة تكفي للتعريف بها وإن لم تجمعها كلها ونحن أمام هذه البحوث المستفيضة نتوحي فيها عند الوسط بين القصول وهو جمع هذه البحوث كلها في هذه الرسالة التي لا تتوقف على العلم ببحوث لعلامات والطولع حسناً وبين لنقص وهم ههنا هذه البحوث كل الإهمال في رسالة تدور على بيان مقدمات السورة الإسلامية وعلى الآراء المختلفة في شرح ما سبقها

من هذه المقدمات ، ومهما يكن من رأى انقارئ في هـد العصر فالرأى
الذى رآه الناس منذ أنوب اسير ولا يرالون يرويه لابد أن يكون له
مكانه التاريخى ودلالته لتفسيره في هذا السياق

ولسا هنا بصدد الإسهاب والتفصيل في نقد الأساليب التى يعتمدها
الباحثون في حل الرموز أو خلق هذه الرموز على الأصح في بعض
الأحيان ، لكننا نوجز فنقصر التعقب على مقطع الآراء الذى لا بطول
عليه خلاف بين المنصفين . فكل من راجع العلامات النبوية في كتب
الديانات من أقدمها قبل موسى وعيسى ومحمد عليه السلام إلى يومنا هذا
يرى ولاشك أن العلامات التى خصها ها من أقواها وأوصحها وأقلها
اعتسافا واستكراها للألماذ والتراكيب على غير معايها ، وإنما سطر إليها
على كل احتمال مفروض فلا يرى أنها تعنى عن سدائل الكوبة ولا يعلم
أن قيام الدعوة المحمدية قد اعتمد عليها عند أحد من المسلمين الأولين أو
عند أحد من الذين دانوا بالإسلام في الزمن الحديث

فإد فرصا أن التحريج صحيح في كل ما أورده الباحثون المتقدمون
وعيرهم فإن هذه العلامات لم تقع أحد من الذين كانوا يقرءون
التوراة في عهد الدعوة المحمدية ولم يلم لهم موقفا من الدعوة غير
الحاجة والمكابرة والاشدد في الإنكار على نحو لم يعلمه من الخاهليين
والذين لم يطمعوا على حروف من كتب العهد القديم . وإذا قدرنا أن
هذه العلامات لم ترد قط في كتاب سابق للدعوة المحمدية لم يكن ذلك
مما يصير هذه الدعوة أو يصدها عن طريقها أو سلسها وسلة من وسائل
الإقناع والديوع الى اعتماد عليها

هذا على تقدير الصحة واصوب في كل تحريج وفي كل علامة
مذكورة مشروحة ، فأما على غير هذا التقدير فلا حاجة بنا إذن إلى
تعقيب طويل أو قصير

ولا بدع الكلام على لنسوءات العيبة حتى نقرر فيها الرأي الذي
يسلمه المصنفون ولا يجرؤ أحد على يكاره باسم العلم أو باسم المطلق أو
باسم المقياس الصحيح

فما من أحد يجرؤ على أن يقول - باسم لعلم - إن الإلهام بالغيب
مستحيل . لأنه إذا حزم باستحالة وحب عليه قل ذلك أن يحزم بأمور
كثيرة لا يستطيع عالم أمين أن يقررها معتمدا على حجة أو سند قويم
يحب على العالم الذي يحرم باستحالة الإلهام بالغيب أن يقرر لنا أنه
عرف حقيقة الزمن وعرفه - من ثم حقيقة المستقبل ، ويجب عليه مع
ذلك أن يقرر تحريد السكون من عصر العقل غير عقل الإنسان وحيوان
فما هي حقيقة الزمن ؟ هل هو موجود في الماضي والحاضر والمستقبل
أو هو يوجد لحظة واحدة ثم يزول ؟ وما هي هذه اللحظة الواحدة ؟ وما
مدى إحاطتها بالبعد والقرب من الأمكنة الشاسعة في هذه الأكوان ؟
وهل المستقبل موجود الآن أو هو عدم يوجد لحظة بعد لحظة ؟ وكيف
يوجد عدم بعد أن لم يكن له وجود ؟

إن العالم الذي يحزم في قلوب من هذه الأقوال باسم العلم يدعى على
العلم كذبا ويم على عقل ضيق لا يصلح لسطر في هذه لافاق

فإذا كنا لا نرى وجود مستقل بعبا مقطوعا به مستند إلى حجة أو
بينة فالغيب غير مستحيل والعلم به لا يدخل في باب المسموعات أو غير
المعقولات

وإذا كان عصر العقل في هذه الأكوام أكبر من أن يحصره رأس الإنسان وحده فانتقال المعرفة منه إلى عقل الإنسان حائز على الأقل كجواز الانتقاد بين الأفكار على تعدد الأمكنة والعقول ولا يدعى أن الانتقال الفكري بين عقول الناس قد ثبت في هذا الزمن ثبوتاً قاطعاً في جميع التجارب والمحاولات فإن هذا الانتقال - المسمى بثلاثية - يصيب ويخطئ ويكفي أنه لم يبطل كل البطلان باعتراف الملحدين والماديين إلى جدس المتدينين والمؤمنين

فإذا كان وجود مستقل لم يبطل فكيف يبطل العلم بما يجري فيه؟ إنه قد يبطل إذا تحقق بالينة أن عصر العقل وراء عقل الإنسان مستحيل ، فإذا كان وجود هذا العقل الأكبر لم يمتنع ولم يدخل في باب استحالات فكل دعوى منه لسخر من إنكار العلم به أو الإيحاء به إلى إنسان من الناس فإنما هي دعوى تهجم على الواقع ولا يكفي أن يقال فيها إنها تهجم على العيوب ومشغولات

فيمكن رأينا إذا في تخريجات الباحثين عن الطوبى والعلامات ما يكون ، فإن هذا الرأي لا سلطان للإيمان بالغيب إلا على لسان مجرد يحيط بالقول حيث يحفل المدي لدى يحوض فيه وإنما يقبل تلك التخريجات أو لا نفسها لأن الباحث فيها أصابو أو أخطأوا في التخريج والتأويل ، وإنما نقلها أو لا نفسها ككرة أخرى لأن قيام الدعوات لسبوة متوقف عليها أو غير متوقف عليها بل ماض في مسيله على اختلاف هذه لعلامات

ما الإناء في الغيب عشية العلم به والقادر عليه فلا يجمع علم ولا منطق ولا تجربة قاطعة من تجارب العباد

الأحوال العالمية قبل الدعوة المحمدية

مقدمات النبوة

والآن ، وقد أقررنا الطوائع والعلامات و قرارها الذي يسهر
لاتفاق عليه ، بطرق الأبواب الواسعة التي تتفتح أمامنا لبحث في
مقدمات النبوة الإسلامية ، وهي أبواب البحث في الحوادث التاريخية
والآيات الكونية ، وليس أثبت من في مقام الكلام على السوء لإسلاميه
بصفة خاصة بين سائر النبوءات

تاريخ العالم كله - قبل عصر الدعوة الإسلامية - هو تاريخ هذه
المقدمات حول بلاد العرب وفي صميم الحرية العربية من أحوالها إلى
أصنافها

فلم يكن للعالم كله في تلك الفترة حالة لا توصف بالسوء ولا يقال
فيها بالإجمال إنها حالة فساد وانحلال
فلا حالة لعلم ولا لسياسة ولا لأخلاق ولا للمرءق انعام لا
يوصف بتلك الصفة ولا تعب فيها السيئات كل التعب على الحساب
وإذا نظرنا إلى لأحوال في حملتها وحدنا أنها هي الأحوال التي
تنادي في كل مكان بالحاجة إلى الدعوة الدينية

ب ظاهرة واحدة كانت تدف تلك لظواهر جميعه في طبائرها ، وهي

مقدار ثقة بكل شيء ، ولا معنى بذلك في كلمة موحدة إلا أن الثقة هي المطلوبة ، وأن الإيمان هو دواء هذا الداء الذي استشرى في كل مكان

وبدأ بالأديان الكبرى التي شاعت في العالم المحمور قبيل لدعوة المحمدية ، وهي على حسب قدمها : الميوسية وليهودية وحسب

هم يكن أتباع دين من هذه الأديان على استقرار في عقيدتهم ، وعلى ثقة بأخبارهم وأئمتهم ، وأولها وأشدها اضطراباً ديانة الدولة الفرسية أو ديانتها المتعددة التي تشملها الثوية أي الإيمان برب بنور ورب للظلام وعالم للحر وعالم للشر في كون واحد

فقد كانت هذه الميوسية تستعصى على لدعاة المصلحين من أيام الوثنية الآرية الأولى التي اشترك فيها اليهود والفارسيون ، وقد عمل « رادشت » جهده بتطهيرها من الوثنية وإخلاؤها من شعائر الهياكل وأخبار عقيمة فلم يتيسر له من ذلك غير انقليل ، وجاء بعده مصلحون من أتباعه مرحوا الفك بالتحكم بالخرافة بالعبادة في نخلة واحدة ، ولم يعرف اندس عنهم على العهد إلى عصر الميلاد المسيحي إلا أنهم رصدوا للكواكب طلبة لخبيا وأعيوب من وراء حجاب الظلام وقام « ماني » الذي تنسب إليه المانوية في القرن الثالث للميلاد فأراد أن يعلق باب لوثنية في الشرق ويرجع إلى ثوية قريبة من ثوية « رادشت » وتوحيد الفلسفة العقيدة - فحول قومه من لكثانة البهلوية إلى الكثانة الآرامية أو السامية ، وكاد أن يفتح في إقناع رلاة الأمر بآرائه في الإصلاح والنزاهة لو لم تصدهم عليه دسائس الكهان والوراء ، فعصى في السحر وقيل بهم سحوا حله وعلقوه مصلوبا لسباع الطير

ثم كانت الطامة الكبرى في عهد قياد أبي كسرى أبوشروان الذي
حضر بعثة النبي وتلقى رسالته بالسخط والوعيد

في عهد قباد هذا طهر «مردك» داعية الإباحة ولصوصي في الأموال
والأعراس ، ولم يتزحزح هذا المدعية خطوة واحدة من التثوية إلى
التوحيد ، وما يشبه التوحيد ، وقد كما قال «ماني» من قبله إن عدم
كله في قصة له المور وإله لظلام ، غير أنه راد عليه «إن المور يعمل
بالمقصود ولا خيارون الظلمة تفعل على الحط والاتفاق ، وإن المور على
حساس والظلمة جاعلة عمياء ، وإن المراح كان على الاتفاق والحط لا
بالمقصود والاختيار ، وكذلك الخلاص إنما يقع بالاتفاق دون الاختيار»

ورغم مزدك هذا أنه جاء ليطل الخلاف بين العقائد والأفهام وبها هم
عن المدعية والفتن ، وأنه ما كان أكثر ذلك إنما يقع بسب النساء
والأموال فقد أحل النساء وأباح لأموال وجعل الناس شركة فيما
كاشفواهم في الماء والنار والكلأ ، ورد القوى الكونية إلى أربع هي النير
وانهم والخمط والسرور ، وكل منها يعمل بسعة من نوراء يتبع المورير

مهم التي عشر روحانيون وكل إنسان احتمعت به أسرار الأربعة
وسعة والاثني عشر صار ربانيا في العالم السفلي وارتفع عنه التكليف .
وإن ملك الملوك في العالم العلوي إنما يدير بالحروف التي مجموعها الاسم
الأعظم . ومن تصور من تلك الحروف شئ افتتح له السر الأكبر ومن
حرم ذلك بقي في عمى الجهل والسيان والملافة والعمى في مقابلة القوى
الأربع الروحانية^(١)»

(١) شهر ماني في مدن الملح

ويقول عن مزدك هذا أنه كان عظيم الدهاء حبيراً يقود الإقناع والإغراء ، وأنه بلغ من سبطانه على قباذ أنه أقنعه ببذل روحته لمن يشئها يعلم الناس الصديق في مكانه ويقتدوا به في ترك التساعص والملاحاة على الأعراس والعروض فأوشك قباذ أن يفعل ما أوحاه إليه لولا أن علم ولي عهده كسرى قد حل عليه بلاكياً متصرعاً توسل إليه بلا بدله هذا الإذلال وينتدب أمه أمام الناس هذا لاشد ل . ثم كالأث عصاة ولي العهد فقتلوه وتعقبوا شيعته بالقمع والنشريد

وعلى الرغم من تنافح المصلحين لدين اجتهدوا عاية جنهادهم في تطهير الديانة المجوسية من الوثنية والمراحم الهيكلية لم تزل عقيدتهم جميعاً في الأرواح والشياطين حائلاً بينهم وبين اتوحيد من حائلاً بينهم وبين الثنوية على ساطتها الأولى ، فإن موالات الأرواح ومحاربة الشياطين تسوقاهم إلى خضوع من العبادة والزنى لطوائف شتى من لإرباب اصغار عدا لإلهين الأقدمين إله النور وإله الظلام ، ولا يراون المجوس إلى اليوم يبدون صلاتهم بعد منتصف الليل ويقصون ساعات الصلاة الأولى في تلاوة الأناشيد التي بترصون بها شياطين الظلام . قل انشاقي النور الأعظم عند الصباح

اليهودية والمسيحية

أما يهودية فقد كانت قديم المسيحية في معضها الأكبر يدنا حيا سعادها وانتهائها إلى العاية من الجمود والصبو . إذ كانت المسيحية في الواقع حركة إصلاح واسع في جميع العقائد اليهودية التي جمدت على المصوص والمرسم ونحولت من الدين إلى بقيص الدين ، ولا شيء

ساقص اليدين كما ناقضته تلك لأماية لقومية التي حسبت الآلهة العبود ملكا لها دون سائر عبادته يبيع هـ في سائر الأقوم مالا يباح في شريعة ولا
... مستقيم

وفي عصر ميلاد نفسه ظهر من حكماء اليهود من أحسن الحاجة إلى إصلاح عقائد قومه وشعائرههم ، فاختار فيون الحكيم أسلوب التعبير الرمزي لتفسير مسائل الكتب التي لا تقبلها الحكمة . وكان مما يثقب لنظر في هذا الصدد أنه رجع إلى قصة إبراهيم وسارة وهاجر فعبرها على أسلوبه تعبيري الرمزي . لأن المسك الذي سب فيها إلى إبراهيم لا يعرض من تحليل الرحمن فعنده أن سارة هي الحكمة الإلهية وأن هاجر هي السرة البديوية . وأن رواح الخليل من سارة لم يشر في أول الأمر لأنه لم يصبغ له قبل الترس مخفائق الحياة ، وقد كان هذا أسلوبا لصفة الذي أدخله بولس الرسول في أسلوبه ليدل على فقاء في رسالة غلاطية . « إنه مكتوب أنه كان لإبراهيم بنان واحد من الجارية والآخر من الحرة لكن ندى من الجارية ولد حسب الحسد . وأما ندى من الحرة فبالوعد . وكل ذلك رمز لأن هاتين هما تعهدان أحدهما من حمل سيئة الوالد للعبودية الذي هو هاجر لأن هاجر حمل سيئة في عبرية ، وبكسر يقابل أورشليم المحاصرة فإنها مستعدة مع شه ، وأما أورشليم العليا التي هي أمنا جميعا فهي حرة . . . »

وهذه ثورة على تفسير موعده إبراهيم بأسلوب العصية ولأماية تمت لنظر فيما نحن بصدده ونومئ إلى ما يأتي بعدها في الرسم المتناول ثم يرى الإصلاح المسيحي مسراه قصي معه من اليهود من صلح له رنق حامدون على شر مما كانوا عليه قبل الدعوة مسحة . وحين بعد

والإله ، على الناطل حياته المعهودة فذهبت روح الكهانة والمراسم الهيكلية وتفرقت مراجع الديانة مع كل مجسم وكل معبد وكل طائفة ذات مذهب في التوراة أو التلمود أو نقاليد الأحبار والرمايين ، وكان من آثار هدم الهيكل سنة سبعين لميلاد أن أشباعه فقدوا وحدة المراسم بعد أن فقدوا وحدة العقيدة والروح ، فلم يأت عصر البعثة المحمدية حتى استمحل الخطب بينهم من حراء عصورانهم الكثيرة فنهضت بينهم طلائع الطائفة التي عرفت بعد ذلك بطائفة القرائين وتكررت كل رأى غير استصوص والحروف في الكتب المنسوبة إلى موسى الكلم ، فكان خوف التفرق سبيل النكسة إلى أيام العصية والأسيية القومية ولم يكن سبيل إلى الحرية والتجديد . ربما بلغت المطر مرة أخرى أن إصلاح هذا الحمود الحديد إنما أتى من قبل الملاد الإسلامية على يد سعديا المصرى وابن ميمون الأندلسى ، وأن حكماء اليهود في القرن الثالث للهجرة لم يكن هم مذهب في تنزيه الإله غير مذهب علماء الكلام من المسلمين .

وكذلك كان يهود العالم في عصر اسعنة المحمدية بين أشنات يذهب كل منها مذهبه على حسب المجمع أو المعبد الذى يتسمى إليه ، وبين شرائذم متعثرين في الحمود على الحروف والنصوص يرجعون بهذه النكسة إلى الداء الذى قامت المسيحية لإصلاحه من بضعه قرون فتلك حاجة جديدة إلى إصلاح جديد

محبة المسيحية

وقد جاء الإسلام والمسيحية منتشرة في بلاد الدولة الرومانية شرقا وغربا يدين بها ملوكها ورؤساؤها ومعظم رعاياها ، وكان هؤلاء الملوك

والرؤساء قبل تنصيرهم يضطهدون لمسيحييهم ويعذبونهم ولا يتورعون عن لون من ألوان العذاب بصورته عليهم . فكانت محنة عظيمة صبرها المسيحيون الأبرار صبر المؤمنين الصادقين ، ولكن هؤلاء الملوك والرؤساء كانت محنتهم للمسيحية بعد تنصيرهم أشد عليهم من محنة الاصطهاد والتعذيب . لأنهم لم يكفوا عن لظم وراذوا عنه عبث اسياسة بالعقائد والآراء ، فجلسوا مطامعهم بين المختصين على تعبير لمسيحية الأولى وهرقوهم شيع متعصبة متناهرة يرمى بعضها بعضا بالكفر والصلالة ويشبب بها الحدل فلا تنفق على قول حتى تختص أمامها مذاهب الخلاف على أقوال ، ولم يكن خلاف مذاهب يومئذ كخلاف المذاهب في العصر الحاضر يسمع بوجهات النظر ولا يستترم طرد المخالفين جميعا من حظيرة الدين ، بل كان بحث الآباء الأولين في سبل للوصول إلى أركان العقيدة وتقرير ما يسمى بالمسيحية وما لا يحسب منها وإعلاء بحسب من الكفر والصلالة فلم تبق محنة من لنحل الكثير إلا حكمت على مناقصتها بالمروق والهرطقة ، وتعددت هذه النحل بين الأريوسية والسطورية وليعتوية والملكية على تعدد الأقوال في الطبيعة الإلهية ومبرلة الأقسام الثلاثة منها ، وبأني انشراح بين الكنيستين الشرقية والغربية فيقضى على النقية الباقية من الثقة والطمأنينة ، ولا بدع ركنا من أركان تعقيدة معمدة من الحدل والانهام ، فلاحرم يتردد على الألسنة ويدون في كتب التاريخ يومئذ أن تقوم جميعا قد سئحقوا لعقاب لإلهي وأن أبناء إسماعيل قد جاءوا من الصحراء بأمر الله عقابا للظالمين والمأرفين .

ويستطيع القارئ أن يترجم هذه التلينة بموادث الساسة وسارعات

العرش فلا يرى من حوادثها يومئذ لا رعارع من هذا القليل على عروش الدول والإمارات وأولها عرش الأكاسرة وعرش القياصرة رؤساء أكبر الدول في ذلك الحين ، فهم يكن بين الملوك الخمسة أو الستة الذين تعاقبوا على عرش فارس أو عرش بيزنطية من مات خفف أنه أو مات مستقرا على عرشه ، ولم يكن منهم أحد كان له حق واضح في السلطان على عرشه ، ولم يكن منهم أحد كان له حق واضح في السلطان حين وثب عليه ، وينقلب العرش بين الغاصبين فيمزج من كان آمنا ويأمن من كان مهدداً ومشرداً في الملامع مختلف الحظوة وانقمة بين الأنصار والخصوم ، فما تمادى الأمر على ذلك عاماً بعد عام م سق من يأمن على نفسه وماله في زمن أنصار ولا زمن خصوم ، وعم الخوف قرب الناس بل السلطان وأنعمهم منه على أحد سوء .

ونمت النخبة الكبرى بالقتال الدائم بين الدولتين ، فإذا بادد الواحد ينقلب في الحكم بين سيادة الفرس وسيادة الروم فلا تهدأ له حال في نظام ولا في سلام ولا في معاش يأمن الناس على مرافقه ومسالكة بين ميادين القتال ، وبطل الأمان كما بطل الإيمان ، فلا خلاصة لهذه الأحوال جميعاً غير خلاصة واحدة هي صياع انقمة بكل منظور ومستور . ولا أمان من السياسة ولا من الدين ولا من الأخلاق ولا من الواقع ولا من نعيم .

هذه أحوال العالم وهذه هي مقدمات الدعوة الإسلامية من تلك الأحوال . مقدمات لا تأتي متأخراً على وتيرة الداء الذي يشعه لئلاء ، وكما مقدمات العذبة الإلهية التي يسر دواء للداء المستحكم على غير انتظار وبغير حساب عام يدصح أن يقال عنه به كان ينتظر شيئاً من وراء العيب فإنما كان ينتظر عذبة من الله .

الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية

كان في الجزيرة العربية محوس ويهود وبصاري ، وعرف أساء جزيرة هذه الأديان من طريق القدوة الفردية في رحلاتهم ومبادلاتهم مع الأمم التي تحيط ببلادهم . كما عرفوه من طريق الدعوة العامة التي بعزها سلطان الرؤساء على محوس حدث في أرض عدن والحيرة وبحران

ويقول ابن قتيبة إن المحوسية كانت معروفة في قبائل تميم ومهم ردارة بن عدس وبه حاجب . وقد تزوج ابنته ثم بدم . ويرى أنها كانت شائعة بين قبائل البحرين عامة على مقربة من هرس ، وأن لقيط بن ردارة كما جاء في ابن الأثير تزوج بنته دختنوس وسماها بهذا الاسم الفارسي ومات عنها فقاب وهو بجود نفسه

يا ليت شعري عند دختنوس
إذا أتوها خبير المرموس
أنحس القفرون أو تميم
لا ، بل تميم إنها هروس

والأغلب على الظن أن المحوسية شاعت في هذه القبائل لأنها كانت سهلة هيبه عليهم لا تكلفهم بناء الهياكل ولا نحت الأصنام . ولا يسكرون في عاداتهم للدار شيئاً لأن أشغال ليران لقوى والإسقاء وإشهار لحلف لم تكن مجهولة في الندية العربية . ولعلمهم سقوها إن

عباده بعض الكواكب لأهم كانه أحواح إلى رصد الأنواء والاهتد ،
بالجسم و سر الليل حتى جعلوا له أسماء خاصة من السرى والإدلاج
وغيرهما من الرحلة في سائر أوقات الطلام .

ولعن أحدا منهم لم يكن بلغت إلى محوسية المحوس إلا حين يحدث
الزواج بالمحارم التي لا يحلها عامة العرب ، فأما فيما عدا ذلك فقد كانت
مراسم لديهم عادات كغيرها من عادات البداوة في الأغراس والمآتم
وتعظيم الأسلاف والأرواح . لا ينكرها المحوسى ولا اليهودى ولا
المصرافى من عرب الجاهلية

وإذا كان عرب البحرين قد عرفوا المحوسية فقد عرفوا الصابئين الذين
كانوا يقيمون على مقربة من بلادهم وبكنهم لم يقتدوا بهم في عقيدتهم
لكثرة قيودها وأشراتها ركنان الصابئين ما كانوا يؤمنون به محالفا لمن
حولهم ، وقد كانوا به ققون كل دين في أشياء وبخالفونه في أشياء ،
ويختصون إلى العزلة والاعتكاف فلا يصل إلى أسرارهم إلا من تعدد
الحث عه والنهاد إليهم من طلاب المعرفة والمتسكبين والمتحقيقين ،
والظاهر من أصول كتبهم اسطية أن الصلة بينهم وبين نسط الحجار
الشمالى عن طريق العراق والعقبة كانت أوثق وأقرب من صلاتهم بسكان
البحرين والشواصين ائمانية . ولهذا وحد فيهم من يتمى إلى حد سموه
كاظم بن تارح يرعمون أنه أخو إبراهيم الخليل ، وكيفما كانت علاقة
العرب بموطن الصابئة فلم توحد بين العرب قبيلة كبيرة تدعى بجمه الصابئة
كما دانت تخم بالمحوسية لأن هذه طلة الصابئة بطبيعتها لا تنتقل إلى

طائفة كبيرة بعيدة من موطنها . مورد الماء ، وإنما يستقل إليها فرد أو أفراد بمصون عقيدتها على الصفائد الوثنية من حوها . ولا يحق شأن الارتباط بالمكان في العقيدة الصائنية ، فإن اشتراط القرب من الماء فريضة من فرائضهم العامة . واسمهم الأول في أصله مأخوذ من سبع لا من ساء التي ينتمى إليها بعض قائل اليمن ولا من صا بمعنى ارتد عن الدين . ودلت أبحاث الآراء فيها قليل عن صوت هذه الأسماء

وكانت اليهودية أعم انتشارا في جزيرة عربية من النحوسية لأن النحوسية بقيت محصورة في عشائر من العرب من سكان بني لبحرين . ولكن اليهود كانوا يهاجرون بحملة قائلهم من أرض كنعان كلهم أصحاب القمع والتشريد من فاتح جديد . وقد هاجر سو بنصير وسو قريظة وسو همدل حملة واحدة إلى يثرب على رواية الأغاني « بعد أن ظهرت الروم على بني إسرائيل جميعا بالشام »

قال صاحب الأغاني . « لما قدم سو بنصير وقريظة وهمدل المدسة تزوا العابة فوجدوها وبينة فكرهوها وبعثوا رائدا أمروه أن يلتصق لهم برلا سراها . فخرج حتى أتى العالية وهي بطحون ومهزور واديان من حرة على نلاع أرض عذبة بها مياه عذبة تست حر اشعر فرجع إليهم فقال : قد وجدت لكم بلد طيبا نرمز إلى حرة بصب فيها واديان على نلاع عذبة ومدرة طيبة في متأخر الحرة فتحبون القوم إليها في منزلهم منزل سو النصير ومن معهم على مهزور وكانت لهم نلاعه وما تبقى من بعثات وسموات فكان من يسكن اديية . حتى نزلها الأوس والخرح . من قتال بني إسرائيل بسو حكومة وبسو ثعلبة وسو محمر وسو رعويا وسو ريد

وَبَنُو النَّصِيرِ وَبَنُو قَرِيظَةَ وَبَنُو مَهْدَلٍ وَبَنُو عَوْفٍ وَبَنُو الْقَصِيصِ فَكَانَ
يَسْكُنُ يَثْرَبَ جَمَاعَةً مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ هَهُنَا وَهَهُنَا وَهَهُنَا وَهَهُنَا
لِيَهُودَ . وَكَانَ هَهُنَا مَعَهُمْ مِنْ عِبْرِيِّي إِسْرَءِيلَ بَطْلُونَ مِنَ الْعَرَبِ مَعَهُمْ
بَنُو الْحَرَمَانِ حَتَّى مِنْ إِيْمَنَ وَبَنُو مَرْتَدَ حَتَّى مِنْ بَنِي وَبَنُو يَفَّ حَتَّى مِنْ بَنِي
أَيْضًا وَبَنُو مَعَاوِيَةَ حَتَّى مِنْ بَنِي سَلِيمَ ثُمَّ مِنْ بَنِي خَارِثَ بْنِ هَبَةَ وَبَنُو
شَطِيطَةَ حَتَّى مِنْ غَسَّانَ .

وَمِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَهُودَ يَهُودَ يَهُودَ لَتِي يَحْمِيهِمْ فِيهَا الْأَطْلَامُ وَالْأَبْيَةُ .
فَرَلُوا تَيْمَاءَ وَهَهُنَا وَهَهُنَا وَهَهُنَا وَهَهُنَا وَهَهُنَا وَهَهُنَا وَهَهُنَا وَهَهُنَا
الْأَرْضَ حَوْلَهَا لِلْعَرَبِيِّ وَالْأَنْحَارِ بِمَحَاصِيْدِهَا . وَاحْتَارُوا مِنَ الْحَارَةِ
أَسْرَهَا عَلَى عِبْرِ الْمَخَارِبِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى حِرْصَةِ لِقَوَائِلِ الْكَبِيرَةِ إِنِّي
كَانَتْ تَحْمِلُ أَجْيَانًا كَمَا فِي لَطَرِي عَلَى أَكْثَرِ مِنْ أَلْفِي حِمْلٍ .
فَاسْتَعْلَوْا أَدْنَ وَشَارَكُوا فِي فُرُوشِ الرِّبِّ وَبُيُوتَاتٍ وَمِنْ يَسُوءُ قَطْ أَنَّهُمْ
غُرَبَاءَ فِي بَدَا غَرِيبَ . وَاجْتَنَبُوا الرَّاحَةَ فِي التَّحَارَةِ هَلْ يَكُنْ هُمْ شَأْنُ
بِمَكَّةَ دُونَ سَائِرِ الْمَدَنِ لِأَنَّهَا كَانَتْ مُسْقَلَةً بِالسَّجَارَةِ عَلَى طَرِيقِهَا فِي أَيْدِي
فَرِيشَ . وَلَكِنْ يَقَالُ فِي رَوَايَاتٍ غَيْرِ حَاسِمَةٍ أَنَّ يَهُودِيًّا مِنْ عِبْرِيِّي وَكَانَتْ
وَكُنْدَةً وَبَنِي الْحَارِثِ عَرَفَتْ الْيَهُودِيَّةَ مِنْ حَوْرِيهَا لِعَبْرِيقِ الْمَدَنِ الَّتِي سَكَنَهَا
يَهُودَ .

وَمَوْضِعُ النَّظَرِ لِكَثِيرٍ مَا يَقَالُ عَنْ دُخُولِ الْيَهُودِيَّةِ فِي إِيْمَنَ وَقِيَامِ دَوْلَةٍ
يَهُودِيَّةٍ فِيهَا بِأَمْرَةٍ دَرَجَةٍ مَكِّيَّةٍ بِدِي مَوَاسٍ . فَلَا خِلَافَ فِي وَجُودِ الْيَهُودِ
بَيْنَ عَرَبِ الْجَنُوبِ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ . وَبَيْنَ خِلَافٍ فِي تَارِيخِ دُخُولِ
يَهُودِيَّةِ تَحْتَ السَّلَاطِ وَوَسِيلَةِ دُخُولِهَا . لِأَنَّ الْمَعْهُودَ فِي بَنِي إِسْرَءِيلَ
لِاتَّخِذِهِمْ كَانُوا لَا يَدْعُونَ أَحَدًا إِلَى دُخُولِ دِينِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَشَارِكُهُمْ نَفْسَهُمْ

بوعد إبراهيم الخليل وحصر هذا الوعد في ذرية إسحاق بن يعقوب
 وقد حدث في عهد هركانوس الأول المكاني أنه أعار على الأدوميين
 وإكرههم على اليهود فهودوا وقامت بهم دولة هيرود حبيطة الرومان
 وكان ذلك في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد حين ضعف إيمان اليهود
 برحمة الدولة لديويهم في أرض الموعد . وكان تدير حروباً سياسياً
 دعت إليه لرعة في تأمين الصريق ومحاربة الرومان لدرء خطر من ناحية
 فارس وحلفائها من جانب الصحراء . فإذا كان اليهود قد أكرهوا على
 آمن على يهودهم في هذه القوة التي تصارع قوة المكانيين في الشام
 وفلسطين ؟ وإذا كانوا قد هودوا تلك القبائل بالسحر والإقناع فكيف
 قلوبهم أن يشركوا معهم أماس من مصرودين المحرومين في وعد إبراهيم
 الخليل ؟

إن الاحتمال الراجح بين هذه التناقض أن اليهود وصلوا إلى اليمن
 مهاجرين متفرقين ، وربما بدأت هذه الهجرة من أيام السبي البابلي لقرب
 بابل من طريق البحرين إلى اليمن . فإن لم تكن موجة هذا الانتقال في
 القدم فقد يكون مبدؤها عند نشيبت اليهود في أوائل القرن الثاني
 للميلاد . ثم استمرت نحو ثمانية مئة إلى أواخر الدولة الحميرية . ثم
 وجد لليهود الحميريون أنفسهم معرضين لخطر واحد أمام تحالف الحبشة
 والروم وبصارى اليمن بحراً وغير بحراً فعقدوا تحالفات مقابل هذا
 خلف بينهم وبين فارس وعواها من عرب لشواطئ الشرقية

ومن المعلوم أن الدولة الفارسية كانت تنارع الحبشة والروم في أرض
 اليمن . وكانت ترحب في بلادها باليهود بعد بقلابهم على الدولة

الرومانية واشتهرهم بمعاداتها وموالاة أعدائها ، وكانت ترحب
 بالنصارى الذين اصطهدهم الرومان الوثنيون . وم نزل ترحب بعد ذلك
 بالنصارى من أتباع المذاهب التي وقع عليها التحريم والتشريد بعد تنصر
 العوام الشرقيين في القسطنطينية . وم نقل نصارى الحيرة إلا لعمها
 بمناعتهم لنصارى عسا من أتباع الرومان وانماهم إلى مذهب
 النسطوريين

فاندوله الحميرية على عهد دى نواس لم تكن دولة يهودية يقسها
 اليهود ويدخلوها معهم في عداد شعب الله المختار ، ولكنها كانت تحلف
 اليهود وتعمل على الاشهار بمخالفتهم لإقناع فارس بولائها في النزاع بينها
 وبين الحبشة وروم . واشتهرت من ثمة باليهود لأنها أيدت اليهود
 وتمكرت للنصارى حذرا من معاونتهم - حفية أو جهره - لشركائهم في
 العقيدة أبناء الحبشة ، ولو كان اليهود هم القوة التي قامت عليها دولة
 حمير وصاروا إلى لقلة التي غمرتها لكثرة العربية في القرن الخامس
 للميلاد .

وأي كان تاريخ اليهودية في اليمن وفي بلاد العرب عامة فإنها لم تكن
 ذات رسالة دينية أو روحية للإصلاح والإصلاح ، ولم تكن يهودية معترفا
 بها بين بني إسرائيل في غير الجزيرة العربية ، وقد نقل الدكتور إسرائيل
 ولفسون صاحب كتاب « تاريخ اليهود في بلاد العرب » رأيا فيهم لليهود
 دمشق وحلب رواه حريز Graetz فقال : « بهم كانوا يذكرون وجود
 يهود في الجزيرة العربية ويقولون إن الذين يعتبرون أنفسهم من اليهود في
 جهات حبراليوا يهودا حقا ، إذ لم يحافظوا على الديانة الإلهية التوحيدية
 ولم ينقصوا لقوانين التعمود حصوعا تاما ، وأن الهام شيركان يعتقد أن

اليهودية في بلاد العرب كانت لها صيغة خاصة ، فقد كانت يهودية في أساسها ولكنها غير خاصة بكل ما يعرف بالقانون التلمودي .

ولا يجمع هذا أن يكون لليهود يثرب رأى في أنفسهم غير رأى إخوانهم الدمشقيين والحليين ، فقد رأى أوليري Oleary في كتابه عن بلاد العرب قبل محمد « أن بني البصير وبني قريظة كانوا يسمون أنفسهم بالكاهيين ويرعمون من ثم أنهم من نسل هارون ، وما ياهوب فإنه يقول أن يهود يثرب عرب يهودوا وقد يخطر لما أن بني قبيصاع كانوا من عرب لشمال الأدوميين أو أشباههم الذين هاجروا إلى بلاد العرب بعد هدم الهيكل سنة سبعين أو بعد تشريد اليهود عن عهد هادريان سنة مائة واثنين وثلاثين »

على أن الصيغة اليهودية التي بقيت مع يهود يثرب في معيشتهم وصاعاتهم ومعاملاتهم ومعرفتهم بعضهم بالكسب العبرية القديمة ولذا هم بالأصنام - أدل عليهم من تقديرات المؤرخين على المرضى ولحميين ، وما أشبه قبيصاع أن ترجع في أصلها إلى كوهسكا ؟ وما أعد أسم البصير من أسماء العرب الأقدمين ! لقد قيل إنهم بطن من بطون حدم من أبناء عم اللحميين . فهل كان في حدام من يعرف العبرية كما عرفها يهود يثرب ؟ وهل كان في وسعهم أن يثثروا المدرسة العبرية التي طلت في عصر الدعوة لمحمدية سمها العرب بيت المدارس ويسمها اليهود (بيت هدم مدراسي) ؟

وقد كان يحب هؤلاء اليهود أثر في مقدمات الدعوة الدينية . أو مقدمات النهضة القومية الإسسية بعارة أخرى لو أنهم أعادوا عرب من

حولهم دروساً في التفكير والأخلاق تكشف لهم عن سحف الجاهلية ونهيئ صبايرهم ما هو أصح منها وقرب إلى تقدم ولادة. هذا أو تكون حياتهم بين العرب قدوة صالحة يتقنون بها في معاملاتهم وعلاقة بعضهم ببعض في السلم والحرب والمخالعة والمخالفة

والكهم م يصنعوا حد ولا ذاك وصعوا في أكثر الأحيان فيقص هذا وذاك. لأنهم لم يكثرثو لأمر اليهود من قبائل العرب إلا ليتصعوا بولائهم وحراسهم لتجارهم في الطريق فلم يكن بين الجاهليين اليهوديين والجاهليين الوثنيين فرق في العادات والأخلاق إلا أن يكون فوق الشجاعة والرحولة في جانب الوثنيين يمتزجون به على الذين تعودوا الليد بالآطام وانتعق في حرهم وسلمهم بذرائع مساومة وانفاق

وقد كان يهود يثرب قدوة سيئة في كل علاقة بينهم وبين العرب أو بينهم وبين أنفسهم في حوز المدينة. فقد كانت سياستهم مع قبائل العرب قائمة على لايقاع بينها وإثارة الأحقاد في المتخاصمين كما جمحو إلى لسيب وتعاهدوا على الصلح والأمان ورم اليهود أنفسهم دؤهم لقديم من الشفاق والمساكنة حيثما اجتمعوا في مكان واحد. فلبت الخصومة بين بني قيقاع من جانب وبين بني نصير وبين قريظة من جانب الآخر. ولم يتفق شو النصير وشو قريظة على شيء غير حسدهم على قسقع وعملهم على الوقعة بين قبائل الأوس والخزرج وهي كثيرة في حوز المدينة وقد كانوا ينصبون على بني قيقاع أنهم كانوا يقيمون في قصورهم داخل المدينة ولا مأوى لبى قريظة غير صاحبة المشرق ولا لبى نصير غير صاحبة المغرب فلما نشب حرب بين الأوس والخزرج تفرق

يهود بين الحريين فكان بو فيصاع مع الخروج وكان بو نصير وبو قريظة مع لأوس ، وم يتحرك أحد من النصيريين والقريظيين بنصرة بني فيصاع حين أحلامهم المسلمون عن المدينة . ولا تحرك أحد من القريظيين بنصرة النصيريين حين قصى عليهم بالجللاء بعدد منهم بالنبي عليه السلام وصعد أحدهم عربس جهاش على حذر جلس النبي نخته ليلتي عليه بصخرة من أعلاه . وإنما وصفتهم الآية بوصفهم هذا حيث جاء في القرآن الكريم عن سورة الحشر أنهم « لا يقانونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء حذر بأسهم شديد تحسبهم جميعا وقوتهم شئى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون »

وليس في حليفة من هذه الحالات قدوة صالحة لعلم الجاهلين ما يحسن بهم أن يتعلموه ويهتدوا به إلى طريق مستقيم

ولقد عاش يهود يثرب ما عاشوا في جزيرة العرب ولم يؤثر عليهم قط سعى في سبيل مطلب من المطالب العامة وخاصة غير لاستكثار من الربح المشروع وغير المشروع بكل ما استطاعوا من حول وجبة هم حذر التي بدعوتهم حذلوهم من مبدأ الأمر وأوفدو وفودهم إلى كفار قريش . معرضون عليهم لمؤررة ومخالفة واحذرو حصصهم التي ثابروا عليها بعد ذلك ولم يعدلوا عنها إلى حين إحلالهم عن حدود جزيرة ، وحلاصة هذه الحصة تثبت الوثنية الخاطئة وإشارتها على دعوة التوحيد والتره التي جاءت بها رسالة الإسلام وشملت بها معظم العقائد الكتابية وعقائد التوحيد حملة مد عهد إبراهيم الخليل وكان في سعيهم لتأييد على هذه الدعوة بعض الأداة والخبيطة قبل الهجرة النبوية إلى المدينة . لأهم

كانوا يترواحون في مساعيهم بين الحذر من عقبة الدعوة وبين الأمل في القضاء على تجارة قريش وانفرادهم بعد قريش بشحرة الحجاز كله من اليمن إلى مكة إلى المدينة إلى الشام . فلم هاجر المسلمون انقرشيون إلى المدينة وأقاموا لهم سوقا يجوار سوق اليهود أرادوا ان يصدوا كل ما صعبه الإسلام حتى الصلح بين الأوس والخزرج والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار . واستياسوا في الكيد والدس وهم يحرصوا على شيء غير استبقاء الربح والتألم على كل إصلاح وكل مصلحة في غير هذا لسبل

فإذا كان يهود يثرب أثرى مقدمات الدعوة المحمدية فهو أثر أسوأ من أثر الجاهليين في المقومة والعباد . وإذا استمد الباحث من تاريخ هؤلاء القوم توضيحا لتلك المقدمات فإيما تأتي هذه الفائدة من جانب آخر لا فضل لهم فيه . فإنهم كانوا نصحبها علما لأخطاء المستشرقين الذين أنكروا وحدة اللغة العربية قبل الإسلام في عصر العلاقات والقصائد الجاهلية . ولقد كانت وحدة اللغة من مقدمات الدعوة الإسلامية التي حاصت العرب جميعا بلسان يعرفونه من قبل عصر الإسلام . فحاء بعض المستشرقين بوعهم من أوهامهم يشككون في وحدة هذه اللغة ويسكرون اتعافى الحرية على التخاطب بلسان القرشيين والمكيين . ورعموا أن وحدة هذه اللغة تمتع لاختلاف لسان العدنانيين والقحطانيين

فاليهود في يثرب صدق جواب على هذه الأوهام لأنهم غرباء عن الجزيرة العرصة دخلوها في القرن الأول أو الثاني للميلاد . ولا يجوز الشك في ذلك ولا القول بأنهم عرب يهودوا كما قال بعض المؤرخين على

غير علم ولا روية فيما يصح أن يقال ، فإن القول بذلك يستلزم ما أن نعرض أن العرب الأميين تطوعوا للتحويل إلى اليهودية ثم تعموا العربية وتنفهوا في كتب التوراة لينقطعوا عن أسلافهم ويضفروا إلى قوم مخدولين في بلادهم لا يسمون لأحد من لأنهم بأنه من لدحول معهم في عداد شعب الله مختار . فهد من أعرب المروص إلى لا تثبت بغير دليل قاطع فصلا عن الثبوت بغير دليل ، وليس في هجرة اليهود من فلسطين إلى بلاد العرب غرابة أو مناقضة لوقائع التاريخ بعد تشتيتهم في القرن الأول أو الثاني للميلاد ، وقد كان مقامهم على الطريق بين تيماء و المدينة للتجارة والزراعة والاشتغال بغير مصاعف القبائل العربية أشبه شيء أن يكون على تلك الطريق خاصة دون الطريق الأخرى التي يحتملها السط وقريش ولا يستطيع اليهود المهاجرون أن يقتحموها على أصحاب وهم مشردون مستضعفون ، مع العداء بينهم وبين البطييين وتعصب السطيين على إسرائيليين ديناً ولغة وميلاً في السياسة والولاء وعلى جميع هذه المروص التي لا تغفل الشك تبقى هناك الحقيقة التي لا تختلف مع : اختلاف القول في أصول يثرب وخيبر وفدك وتيماء ووادي القرى على الإجمال .

فهل هؤلاء عرب يكتبون ؟

لو كانوا كذلك لقد كانوا حلقاء أن يحفظوا في صحفهم كلام عربياً مما قس الإسلام ثلاثة قرون يحالف العربية الموحدة في عصر الإسلام . إن صح أن العربية لم تكن موحدة في أيام شعراء المعلقات . وبعض هؤلاء أشعره لم يسبقوا عصر الإسلام بأكثر من مائة عام .

وكانوا حلقاء ن يحفظون بالكتابة العبرية كلمة غير اللهجة الموحدة
الى يشك المستشرقون في سقمها للإسلام الى عصر أوشك الشعراء .
أو كانوا حلقاء أن تعلم من كتبهم شيئا يؤكد ذلك لئلا يشك برعا من
التأييد .

أما إذا كانوا على القول الراجح بل لقاطع يهود دخلوا الحريرة
لسان غير لسانها . وتكلموا الآرامية أو لأدومية أو العبرية ثم نعلمو
للغة العبرية الحجرية بهذا التوحيد لدى تم بين اللغة الحجرية وبين
الآرامية أو لأدومية أو عبرية ليس تلمستعرب ان يتم بين هجة العرب في
الحروب وهجة العرب في الحجار وسائر أطراف الحريرة . فقد أقام عرب
اليمن في الحريرة وتصلوا بالحجار ربما طول جدا من مقام يهود
المهاجرين منذ القرن الأول أو الثاني للميلاد .

ولم يصل إليها شيء من لغة يهود بلدين قاموا بحروب الحريرة أو
اليهود الذين تحولف معهم ذو نواس في حوران . ولكن اليهود الذين وفدوا
إلى الحجار بعد البعثة النبوية كان منهم كتاب ومؤرخون مطعون على
تواريخ حمير وتواريخ أسلافهم يعبريين . وكان منهم كعب بن مافع
الحميري الملقب بكعب الأحبار . وكان منهم وهب بن منبه البصنعاني
الذي قال ابن حنكالا أنه رأى كتابا له عن منوك حمير وأخبارهم
وشعارهم في محمد واحد ووصف هذا الكتاب بأنه مفيد . وقد كان
كعب ووهب من المعربين في طب السواد فلم يذكرنا لما زما شهادته . أو
شهادة آباءهم وأجدادهم كانت فيه حجة قرينة محبولة في اليمن
وحدودنا وأدنى من ذلك إلى عصر بعثة قدوم اليهود من اليمن إلى

الحجار وذهب الولاء من الحجار إلى بن ياذن النبي عليه السلام .
ومنهم معاذ بن حمل وعلى بن أبي طالب ومن كان يصحبهما في عمل
الولاية والتعميم ، فلم نسمع أن وفود البحر على لى جهلوا ما سمعوه أو
نطقوا بكلام لا يفهمه أهل الحجاز ، وهؤلاء قد لقوا لعائهم من آياتهم
فلا يفهم ما احتلف من كلامهم إذا كان ثمة اختلاف .

وأقدم من البعثة الحميرية رحلة لصيف ورحلة الشتاء ، ويس في
أخبار هذه الرحلات إلماع إلى تفاهم فريش مع أهل اليمن بلغة غير اللغة
القرشية في الحيل السابق للبعثة والحيل الذي تقدمه ، ومن البعيد جداً أن
ينبغي عن دأكرة امرئ حديث جيب قل حبه وقد كانت أخبارهم
ورواياتهم ونسابهم وأمثالهم كلها قائمة على الحفظ وتسلسل لرواية
والإسناد من جيل إلى جيل ، فإذا كانت لغة الحجاز شائعة عامة على
مدى الذاكرة في عصر البعثة الحميرية فلا أقل من ثلاثة أجيال تقدر لهذا
الشيوع وهذا التعميم . وترجع بنا هذه الأجيال إلى أقدم الأوقات التي
أسند إليها نظم المعلقات فلا يستغرب نظمها باللغة التي يفهمها العرب من
الجنوب إلى الشمال .

ولقد سمع النبي عليه السلام قصيدة كعب بن زهير ، وقد نظمها
ولا شك بنو أبيه زهير بن أبي سلمى ، وكان زهير من أسرة شاعرة
مسوقاً إلى النظم تلك اللغة ، ولا يحق أن يكون التغير في النظم قد طرأ
عليهم فجأة في مدى سنوات معدودات ، فإذا بدعنا بالمعلقات عصر
هرم بن سنان محمود زهير — وما تقدمه بقبيل فليس من شعراء
معلقات من هو أقدم من دنت برمس طويل يمتنع فيه التوافق على النظم
الوحد واللغة الواحدة ، ولا بد أن يذكر هنا أن أوران العروص لا تخلق

بين يوم وليلة ، وأن ورد قصيده كعب وورد قصيده أبيه قد رجدا قبل
عصر لشاعرين ونظمت فيها قصائد جيل أو حينين على الأقل قبل ذلك
التاريخ ، ولو أن هذه الأوزان وسعت شعرا غير شعر اللمعة الحجازية لما
غاب خبره ولو غاب لفظه ومعناه .

ومن عسف القول ولا ريب أن نحزم بامتناع هجرة اليمنية إلى ما وراء
حدود اليمن في الجزيرة العربية ، فإذا جاز أن تهاجر منهم قبيلة واحدة
فحكم القبيلة في مسألة اللمعة كحكم لقبائل العشر أو العشرين . ولم
شاء أن ينكر نسبة البكرين أو التعلبيين أو العساسنة إلى اليمن مستندا إلى
الدليل أو غير مستند إلى دليل على الإطلاق ، ولكنه لا يستطيع أن ينكر
نسبتهم إلى اليمن وينكر نسبة اللغة العدنانية إليهم في وقت واحد ، فإنه
بذلك ينكر نسبتهم إلى كل أصل معروف في الجزيرة العربية ولا يأتي لهم
بأصل غير تلك الأصول .

وأن من ينكر انتقال قوم من اليمن إلى ما وراءها ليسكر أمر غير قابل
للإنكار في الحرية العربية التي لم يثبت فيها تاريخ أثبت من تواريخ
الرحلات على تباعد الأرملة وتبدل العوارض الجوية وطوارئ الحصب
والجند والعبء والمزينة . وما من باحث ذي روية يعتسف البت بذلك
الإنكار ثم يحرم محصر اليمنية في حدودهم منذ حاطت بهم تلك
الحدود . من العسف أن يقال إن اليمنية لم تخرج اليمن قط في العصور التي
سبقت العثة الحميرية ، وليس من العسف في شيء أن يقال إنها برحتها
على حسب الطوارئ وعوامل الجو والتاريخ ، ولا داعية بعد ذلك
لاستمرار اتفاق بين اليمنية وأبناء الحجاز وتهامة وسائر الجزيرة في لهجة

من اللهجات فما دما تقدر بحكم الداهية أن اليمانية وحدوا في الحرية
العربية وراء حدودهم وتكلموا كما يتكلم خقيمون في جوارهم فقد زلت
المشكلة ولم تكن هنالك في الحقيقة مشكلة تزال

وليس أكثر من العسف الذي يلجأ إليه منكرو الوحدة في لغة الحرية
قبل البعثة المحمدية بحليل أو ثلاثة أجيال ، وأد اعتساف التاريخ هنا
لأهون في رأينا من اعتساف الفروض الأدبية التي لا تقل التصديق . فما
من قدرىء للأدب يسبح القول بوجود طائفة من الرواة يلققون أشعار
الجاهلية كما وصلت إليها ويفلحون في ذلك التفتيق . إذ معنى ذلك
« أولاً » أن هؤلاء الرواة قد بلعوا من الشاعرية دروساً التي بلغها امرؤ
القيس والنابغة وطرفة وعنترة ودهير وغيرهم من فحول الشعر في
الجاهلية ، ومعنى ذلك « ثانياً » أنهم مقتدرون على توزيع الأساليب على
حسب الأمزجة والأعمار والمذكات الأدبية . فيطمعون بمزاج الشاب طرفة
ومراج الشيخ رهير ومراج العريد اغزل امرئ القيس ومراج الفارس
المقدام عنترة بن شداد ، ويتحرون لكل واحد « مناسباته » النفسية
والتاريخية ويجمعون له لقصائد على عطف واحد في الديوان الذي ينسب
إليه ، ومعنى ذلك « ثالثاً » أن هذه لقصة توجد عند الرواة ولا توجد
عند أحد من الشعراء ثم يفرط الرواة في سمعتها وهم على هذا العلم بقيمة
الشعر الأصيل ، وما من ناقد يسبح هذا الفرص برهان فصلاً عن إساغته
بغير برهان ولغير سبب إلا أن يتوهم ويعرر التوهم بالتحمين ، وإن
تصديق النقائض الجاهلية جميعاً لأهون من تصديق هذه النقصة التي
يضيق بها الخس ويضيق بها الخيال ،

وشتان مع هذا — النقائض التي يسدعها العقل ويبحث عنها إذا

تفقدها فتم يحدها ، والقائض التي يرفضها العقل ولا موجب لها من الواقع ولا من الفكر السليم .

فهذه انتقائص التي تحاول أن تشككنا في وحدة اللغة لعربية قبل الإسلام يرفضها العقل لأن قبولها يكلفه شططا ولا يوجه بحث جدير بالإقناع .

فما يتكلمه العقل إذ نقدها أن يحزم - كما تقدم - ماقطاع عرب اليمن عن داخل الجزيرة كل الاقطاع ، وأن يحزم بقاء لغة قحطانية ، ماخر اسعة القرشية في الخيلين السيقين للبعثة المحمدية غير معتمد على أثرى ذكره الأحياء ولا في ورقا محفوظ ، وأن ينفي كل ما توارثته العرب عن أنسابهم وأسلافهم وهم أمة تقوم مفاحرها وعلاقاتها على الأنساب وبقايا الأسلاف . وان يفترض وجود الرواة المتأمرين على الانتحال بتلك الملكة التي تظم أسع الشعر وتنوعه عن حسب الأمزجة والدواعى النفسية والأعمار . وأن يفهم أن القول المستحل مقصور عن لأسابيد العربية مطلق مرحعها درب غيرها من مراحع الأمم لى صح عندها لكثير مما يحالطه الانتحال والكذب الصريح .

ومن انتقائص التي يستدعيها العقل ويستزمرها وينتجد منها حجة لثبوت لوقع في جملة أنه يحدث الاختلاف في الرواية وان يتعد فيها الإجماع بين الرواة ، فإن العقل لا يصدق الأدويل التي يتفرق رواها ويطول العهد عليها ويعود عليها أصحابها على الذاكرة ولا يساد ثم تأن متفقة في حملة والتعصيل ولا تتعرض مع الرمن وعوامل الأهواء بلاضطرب والحدف والإضافة عن قصد أو نفع لئيبان والإهمال

فاحتلاف الرواة إذن سبب من أسباب التصديق ، وانفاقهم بدعوى
الشك أو التكذيب

وقد سمع القيصري في هذه الحانة فرفصها ولا يرفص لباب الخير
ومعه . فقد سمع أن عمرو بن كشوم أو الحارث بن حبرة التي
قصصته في وقعة واحدة . وسمعا أن رهبرين ألي سمي كان يظم
قصصته في الخول وتسمى قصائده من أجل ذلك بالحوادث . وقد
سقط هذه المألعة كما سقط تلك ولا يلزم من ذلك أن تسقط الشعر
لنبي يوبخ في وقت يظمه بين أقصى الطرفين .

وراء وقف على رويس يصدقها لأن عبد المطر بن الحقائق بعصرية
وعلم أن تصديقها في الزمن الماضي قد عسر ولو أراد الملقون ، في يروي
عن امرئ القيس أنه تعجب من إعراس لساء عنه مع وسامته
ومكانته . وسأل إحدى النساء في ذلك فقالت له سم ، ولكن لك
عرقا كأنه عرق كلب . ثم قرأ أخبار وفاته فعلم منها أنه أصيب قبل موته
بقروح تساقط منها حمده وسمى الحلة التي كان يلبسها من أجل ذلك
بسات القروح . ومؤدى لروايتين معا أن الشاعر كان على استعداد
للمرض الخلد يصاد رائحة العرق لدى يفره . وأنه لم يزل حتى
استشرب به الساد في رحته الشخصية فظهر في ذلك القروح . ويقترن
ذلك بؤدوه مع لساء المعصيات عنه وغلبة الشاعر علقمة عليه في عبي
امرئته . فلا يسهل على المصطفى جميع هذه الأخبار أن ينسب تلقيبها
عمدا إلى رواية واحدة . ولا يسهل عليه أن يتلقاها متفرقة ثم يجردها من
للدلالة التي تربط بينها على غير علم من الرواة المتفوقين

ورعاً كذب الكثير من أحرار طرفة ولم تكذب قصيدته التي تم في
حملتها على حلائقه التي تنوب عن تلك الأحرار وتغيبنا عن محاسة الرواة
على التصديق أو على التكذيب

وهذه القرائن الأدبية هي التي يغفل عنها المستشرقون ولا يفتنون بها
لأنهم ينظرون في النصوص ولا يساء ولا ينظرون في الأدب ولا في روح
الكلام ومصامير التعبير . ومنهم من لا يعرف أدب بلاده ولا يحس
الحكم عليه وهو أدب بلغة التي تلقاها في حجر أمه . فليست معرفته
باللغة العربية كافية له أن يحكم على آدابها وأصاليبها ومصامير الكلام على
تعدد لأمرحة والأدواق . ومنهم علامة تصدى لرصع المعجمات
الكبرى في اللغة العربية فكتب في مادة « أحد » لها تأتي بمعنى نام لقوله
تعالى . « لا تأخذه سنة ولا نوم » ومنهم من يترجم « أبا بكر » بأبي
الغبراء لأنه كان والد الروحة التي نبت لها النبي عليه السلام وهي
غبراء . ومنهم من يترجم الصعيد بمصر الميمونة أو مصر السعيدة Egypt

Felix قياساً على الحب التي تسمى العربية السعيدة Arabia Felix

ومنهم من يقول إن التصحبة تدل على عبادة الشمس لأنها من
الصحى وما هي في وضعها إلا كالتعدي من العده ولتعشية من
لعشاء والسحور من السحر إلى غير ذلك من توقيت الوجبات والديابح
ميفاتها من الليل والنهار . ومنهم من يحسب أن لقصيدته من القصد
فيترجمها بالكلام الذي يراد معناه !

وقد تصدب منهم هذا البحث الذي نحن فيه عن اللغة قبل ورود
لقراء طائفة تفتحهم هذه المباحث وهي أحهل نالاً من عامة الأمنيين.

الدكتور سكر شيدل Thosdale صاحب كتاب مصادر
الإسلام يروي شهاب الناقد للقرآن الكريم ، ومنها هذه الآيات

دنت الساعة واشق لقمر	عن غزال صاد قلبي وبهر
أحور قد حرت في أوصافه	ناعس الطرف بعينه حور
مر يوم العيد في زينه	هرماني متعاطي فقر
بسهام من لحاظ فانك	فتركتي كهتم احظر

وتحدد منها قرينة اقتباس القرآن بعض الآيات من أشعر الخاضعين
ويصيف الدكتور العلامة إلى هذه الآيات أياتا أخرى كقول
لقائل :

أقبل واعشاق من حلقه	كأنهم من حبيب ينسلون
وحاء يوم العيد في زينة	لمش دا فيعمل العاملون

قال الدكتور : « رمن الحكايات المتداولة في عصرنا الحاضر انه لما
كانت فاطمة بنت محمد تتلو هذه الآية وهي - اقترت الساعة واشق
لقمر سمعتها بنت امرئ القيس وقالت لها ان هذه القطعة من قصائد
أبي أحدها وانك وادعى أن الله أمرها عيه ، ومع أنه يمكن أن تكون
هذه الرواية كاذبة لأن امرأ القيس توفي سنة ٥٤٠ م ولم يولد محمد إلا في
سنة الفيل أي سنة ٥٧٠ م فلا يمكن أن هذه الآيات المذكورة واردة في
سورة القمر وفي سورة الصحن وفي سورة الانبياء وفي سورة لصفات ،
وغاية الأمر نه يوجد اختلاف صفيف في اللفظ وليس في المعنى ،
فورد في لقرآن اقترت وفي القصيدة دنت ومن ابيين لواضح أنه

يوحد مساهمة ومناقشة بين هذه الآيات وبين تلك الآيات الواردة في
القرآن . وقد ثبت أن هذه الآيات هي لامرئ القيس حقيقة فحيث
يصعب على المسلم توضيح كيفية ورودها في القرآن لأنه يتعذر على
الإيمان أن أنبات شاعر وثني كسب مسطورة في البوح المحفوظ قبل إنشاء
العالم .

ثم قال الدكتور بطال العلماء المسلمين مع المعارضين والمشتبهين بأن
قيموا الدليل على أن هذه الآيات مأخوذة ومقتبسة من القرآن وأنها
ست من نظم امرئ القيس الذي توفي قبل مولد محمد بثلاثين سنة
وكن يصعب عليه أن يصدق بأن ناصم هذه لفصائد مع إلى حد
حد من التفتت والاستهداف والحرارة في أي زمن من الأزمان بعد
تأسيس مملكة لإسلام التي كانت منسقة الأضراف والأكتاف حتى
تقتبس آيات من القرآن ويستعملها في مثل هذا الموضع .

ثم ختم الدكتور كلامه في هذه الشبهات معصفاً حذر والمخبة
بثلاثين نظم هذه الآيات بعد لإسلام فتسقط الشبهة كلها . فيقول
أن هذه الآيات ليست كل ما يعرض به المعارضون . لأن ما تقدم من
الأسانيد كاف عنهم لتأييد هذه القضية (١٦)

وأيسر ما يبدو من جهل هؤلاء الخاطئين في أمر اللغة العربية قبل
الإسلام وعلاقتها بلغة القرآن الكريم أنهم يحسبون أن علماء المسلمين
يلقون في بحث تلك الآيات وصفاً وصفاً سكرتوا نسبتها إلى الخاطلة

(١٦) من صفحة ٢٥ إلى صفحة ٢٩ من الترجمة العربية

ولا يلهمهم سوى الأدنى أن نظرة واحدة كافية ليقرر وإدخاله سبها
إلى امرئ القيس أو غيره من شعراء الجاهلية

وهذه النظرة الكافية هي التي تعي الناقد المستشرق وهي أصل
وثيق من أصول النقد يعرف عليه الناظر في الأدب كل تعريب . ولا
يقدح فيه أن يسع للحدل وأن يحور فيه الخطأ في القليل دون الكثير
كذلك يتسع سبيل الحدل في تكرار خرة مخير بكثرة الخطوط .
وكذلك يحور الخطأ في محاكاة الكلمة أو يصع كلمات ولا يحور في السطور
والصفحات

فإذا نظر حير الخطوط في صفحة من الصفحات فقد تعي نظرة في
الحكم عليها بالصحة أو الترييف . وربما حار عليه أمر الكلمة والكلمات
إذ لم يكن أمامه غير هذه الكلمة أو هذه الكلمات لتقبل والمصاهاة .
وكيف إذا حصل على تلك الكلمة المكتوبة عشر مرات أو عشرين مرة
يكن من اليسر أن يجمع فيها كما يجمع في الكلمة المفردة بغير تكرار .
وعلى هذا القول يبدو الصحيح والريف في الشعر الأصيل والشعر
المدحول . وقد يحور التزوير في الشطرة الواحدة أو البيت الواحد إذا
امتنعت المقارنة بينه وبين أمثاله من تليق صاحب التزوير . وكيف
لا يحوز إذا كرر المرور الأبيات ومثل لناصر الناقد طريقته في تزوير هذه
الأبيات المتفرقات .

تزوير الأدب الجاهل مستحيل

أما المستحيل . أو شبه المستحيل . فهو تزوير أدب كامل يسب إلى
الجاهلية ويصطع في جمته بالصحة التي شمه على نابر لقائد

والشعراء ، فإذا جمعنا الشعر المنسوب إلى الجاهلية كله في ديون واحد من المستحيل أو شبه المستحيل أن جمع ديوناً يماثله من كلام لعاسيين أو كلام متأخرين ، وإذا قل العارق بين الشعر الأموي الأول والشعر الجاهلي فذلك آية على صحة لعلامات التي تميز الشعر الجاهلي وعلى صحة القراءة منه وبين شعر الذي لم يفرق عنه أمراً بعيداً بزمانه وثقافته قائله وبيئتهم في المعيشة وماسات لتعير . فلا يتشبه الشعر الجاهلي والشعر المحضرم ، إن لم يكن بينهما ميران مشتركة ، مع نتائجه إلى عشرين الشعراء الجاهليين والمحصرمين

إن الملامح الشخصية التي تميز بين الفرزدق والأخطل وجرير يمكن أن توضع وقوى من ثبوت الفوارق التي تميز بين امرئ القيس وعمرو بن كوشم ودهير ، فمن يرى أن حتى دواوين الفرزدق والأخطل وجرير في وسع رربة واحد فقد سهل عليه أن ينسب شعر الجاهليين جميعاً لا سده ولا سابقة من مثله في آداب الأمم ولا نصيب له من الذوق الأدبي غير النبوي والاستغراب

ورعنا كان « سكر تسبيل » لدى مثلنا به جهل المستشرقين بالذمة والذوق الأدبي مثلاً صارخاً كما يقال في التعبير الحديث ، ولكن المثل الصارح هو الذي يجر حقيقة مستعصية على اللبس والمكابرة ويحيط بما دونه من لأشنة التي تتردد بين الشك واليقين . وقد أثبتنا على طائفة منها لا تحلف عن المثل الصارخ يشوط بعيد

سوء فهم وسوء نية

ولمعهود في جماعة المستشرقين أن الكثيرين منهم يفترون سوء الفهم وسوء النية لأهم يخدمون سياسة المستعمرين أو سياسة المشركين المحضرمين

أو يصرون في محوهم نظرة العربي الذي ينظر إلى الشرق نظرة المتعالي عليه في حاصره ومأصيه . غير أنهم ماعد القليل منهم محدودون مسجونون يحومون حول المسائل الحسية ولا يتوسعون في النظر أو تعمقون وراء الظواهر التي يمسها شاهد الحس لمسا فلا تخرج عنه من حدود ما يشته أو ينهيه من وقائع العاد والسماح

فعادة ما يقصدون إليه من أمر لعة أنهم يلتصون بالإسناد المعتمد عند أهلها فيأخذونها بالثبث والتحريح . وأهم يهدمون الدعائم القائمة ليسحبوا بعد ذلك كل ادعاء يدعوه وكل إنكار ينكروه من أصول اليقين والاطمئنان . وتشكيكهم في أسانيد العة من هذا القبيل لا يعدوه إلى مطلب بعيد من مطالب الإحاطة والاستيعاب . فهو كالممارع الذي ينكر على صاحب لمار وثقته ولا يعدوها إلى أركان لدار وما في لدار . وتقديرهم لمسألة الشك في وحدة اللة أقل جدا من قدرها الصحيح في مقدمات الدعوة المحمدية . إذ هي أصلح هذه المقدمات لدلالة على ما بعدها ، وأصدق في تمهيد نتائجها من مقدمات السياسة والأحداث الاحتمالية . لأنها المقدمة الوحيدة التي تمشى في طريق لدعوة المحمدية مسوقة ها مترفة لأراسها . ولا تكون الدعوة المحمدية بانسة إليها كأنها رد الفعل الذي تقاوم ما قبله ويحرق معه عرى القبيص من القبيص

الفخر باللسان العربي

إن لشعور بالعربية والفخر باللسان العربي مقدمة لابد منها لدعوة إلى ترواح العرب بآية البلاغة في القرآن الكريم . وتروعهم بالمعجزة التي يحكيها إن استطاعوا أو يحسوها من قدرة الله

مثل هذا السحدي بالبلاغة لا يحدث في أمة لم تتأصل فيها مفخرة
لنساء العرب والوحدة العربية جيدين أو ثلاثة أحيان ، ولابد - مع
ذلك - أن تكون فتحا قريبا أو شعورا فنيا لم يتناول عبه العهد مثبات
لبنين وم تلعب روعته بالآلفة وفنور لنسان

ووحدة السعة القرشية أو الحجازية لا تصح من مفاحر العرب جميعا
كرامة لقريش أو لأرض الحجاز . ولكي حليقة أن تسمى إلى نفوس
لعرب من حيث يشعرون بالعروبة الموحدة عالية لرأس غير مسكينة
سلطان من « النعم » على الخصوص

والكعبة هي حوار الوحيد الذي يشعر عبه العرب هذا الشعور
فهم في الشام رعيا دولة الروم . وهم في الحيرة رعيا دولة
« نمرس » . وهم في اليمن أتباع للحشة أو لفرس أو رعيا لسلطان يديهم
بالمدة كما يديهم لملوك الغرباء

ولكنهم عند بيت الله في حرم الله يقسمونه جميعا لأنه هم جميعا
يصممهم إليه كما يصمم أوثانهم وأصنامهم وأربابهم الذين يلودون ويأوون
إليه . فكلهم من معبود أو عابد في حضي من الكعبة لاسم في بيت الله
وشعورهم هنا ناسهم « عرب » لم يخاله شعور قط في أنحاء الجزيرة
العربية . وقد أوشك أن يضمن شعب اليمن وحمهرة أقوامه على الرغم
من سادته وحكامه . فما كان هؤلاء حكام لنفسو على الكعبة مكانها
ونقسموا لها بطرا في أرضهم لو كان شعب اليمن مصرا عنها غير معتبرا
كعزاز السادية والصحراء

وحدة الكعبة

وقد وافق ذلك رواي عرش خيرة وروا عرش حمير واسكانة
العساسة في لثام ذرة لروم وبارد للفرس ولاء هؤلاء ولا هؤلاء .
ولا بقية من الفحور هم غير أنهم عرب وليسوا من هؤلاء ولا هؤلاء
وأن بقاء الإسلام على مكانة لكعبة الدليل على هذه المكانة ودليل
على حكمة الإسلام في الاحتفاظ بها للعالم الإسلامي وفي متسع العمى
بعد عائله لأوب في الجزيرة العربية

ونكاد نقول إن العرب أقبلت على الإسلام أفواجا حين صارت
لكعبة إلى مداه وصحت عاصمه العروة عاصمه سديد الحديد

ولم تكن العرب وحدة معروفة بينهم قبل العثة الإسلامية لما عتروا
بالبيت الجامع هم مد لا عتار . وما وحدة أقوام متقاتلين متداعين
مأخوذين بعصية الأجداد والعشائر لم تكن وحدة اللغة ووحدة المحر
نسان من يتبهون به على « المعجم » أجسمين ؟

قال سترابون إنه وجد الأقوام في بلاد العجم تتفاهم لغة واحدة ،
وهي بلاد تعاقت عليها سلالات الآريين والطورانيين والساميين . وقال
في رواية شتى إن الحاميين وصلوا إليها في زمن قدم كما كاه يصلون
إيها ويتجمعون فيها بعد الإسلام بعد فروا ، وم تكن عوامل ابوحده
اللغوية بينهم أقوى من عواملها في حرية العرب ، وم يفض عليهم من
لرمس ممتزجين متقاربين أكثر مما مضى على القبائل العربية التي من عاداتها
الترحل والانتقال من مرعى إلى مرعى ومن حوار إلى حوار

وفي زمانه هذا من القرون التاسع عشر إلى القرن العشرين
لا يرى أحدا يستعرب حذفت النجوم في جزائر بريطانيا نعمة واحدة وفيهم
لأيرلنديون ولأيقوسات ودياليتا . وفي كل أمة من هذه الأمم خطباء
مقهورون وشعراء مسجونون وحسد لا خيرية مضومة ومشورة وفي شامع
خطية ربيات ولا يرى أحد يستعرب ذلك في بلاد أبس ومنهم
مقشاليتون ولداسكيتون ولا يرى في مصر أحد من يستعرب سائر العرب
مضيق داسيتون فله من أبناء العرب وهم يتعاهمون في الأهم النور
مرطاة لأفهمها سائر المصريين . فلا موجب للإبكار النظم والكلام
نعمة واحدة في حرره العرب من اللغة محمدية ثمانى ستة أو أكثر من
ذلك مع عجز لمكر . أن يأتيوا يشاغلو من اللغة الأخرى التي يفترضونها
وسكروا . أحد نعمة من أمتها . ومع توفر لأسباب موحدة في حرية
لعرب على حرم بها في سرها من بلاد إيريس القدم ولا تكفى كلمه
أو كثر لحكم بالفضل المعاش . فإن الإقليم في قطر واحد
لا ينقص في جميع الكميات

من تاريخ الثابت أن أضاء الجنوب لم ينقطع عن الشمال وم ن
شم ناه مكتوبة بها إلى الآن . وقد وجدت بعض هذه الآثار باخط
جنوبي وأما الشئ به مما يقابل عن تشابه الكلام والصق مع بقاء الكتابة
محدد الجنوب

وحدثت في تاريخ جنوب حوادث متعاقبة غدت دعامه لشعوب
شبهات وجعلت أهل الجنوب تبعاً لهم كلها وقدوا على أفعالهم . وقد
عد لهم . وفي السنة التي ردهرت في العرب لزوح ميلاد ومعلم

روادها وخارجها في الغرب كما ظهر من بعض نهمهم في محر إنجة وفي
إيطاليا الجنوبية

وقد كان من أسباب ضعف الجيوب وفهم دولة السط في أشبه
اصطربات بلاد اليمن بعد حروب الإسكندر وحتيحه دولة يرس في
كان في الأشراف على حكمة من رتارده ضد وشرق عامة في لأفند
العربية . وبعد بهار سدا روت وشد القرصنة في جميع بحره بحر
العرب و سحر لأحمر فعلت طريق القبول لبي تمر بالبحر على
جميع نظرق الأخرى ونقاربت بصله من لسط ووجد بين واحد
الحجاريون بالحظة ابوسطى التي تنقى عندها سل الحرب وانشاء
وسرى والعرب في كل بقعة عربية م تكن بفرس حماية عندها .
واشتعت الحروب في للحميين على جميع بحره وأساسه في نادة
لشام وعصر الأمان أو كاد على طريق الحجر . وحتاج العمار
المسر صاحب الخيرة - إلى رعماء مصر لحماية جدره داخل الحرية في
مكة . فكان من أسباب يوم بحلة أنه أراد رجلا يجير فواقده على أهل نجد
فتارعهما البرص وعروة الرجال سيد هارن . وقار له هذا إبه يجيزها
على أهل الشح والقصوم في هل نجد وتهامة . ثم شنت الحرب
ماحتكم الجميع أخيرا إلى سيد من سادات مكة عبد الله بن حذعان
وانصت عنه قرون على اتصال شط والحجر . وعمن
الحجاريون على تعظيم شأن الحجر بين البطين فوضعوها في الكعبة تمائيل
أرباب بعدها السطيون بعد منها الرواة هل رابات ومائة التي قبل إسا
من « المسة » بمعنى « القدر المقدور » معبود السطيين . وقوم حات مسته
وحدن قدره معنى واحد عند عماد مناة

ولا شك أن قصة « عمرو بن لحي » لدى اتفقت لأخبار على أنه
 من الأصنام من بلاد السطى الكعبة إنما هي وسيلة من وسائله لعظيم
 شأن الكعبة عند أهل الشمال وينسبهم بها كما رحلوا إلى الحجاز وتقريب
 ما بينهم وبين شعائر بيت الحرام . وهم جميعا حريصون على تحريم هذه
 لشقة وحرمة روادها من كل قبل

وأنظر من ذلك كله أثر في إعطاء شأن الكعبة لها المفعلة لقومة
 وحرم الإلهى الذى نرى لعرب بعد سيادة الروم على عدن وتقلب الحشة
 ولرس على اليمن وشعور الحميين سادة الحيرة - أنفسهم بمناعة
 الكعبة ومناعة بطريق في أمدى مصر ومن يوسها . وهو أن سلطان هؤلاء
 الحميين حتى أن هم الأمر في الدور ، ثم جاءت وقعة دى قدر لى
 تنصرف فيها لعرب على فارس بعد روال دولة الحميين وقضاء الفرس
 عليها فهرب الحيرة من أفضالها إلى أفضالها وتمسك على نخوة قومية عربية
 تمكنت من تهوس لقبائل جميعا فأشرأبت أعناقها زماما إلى كل بلاد
 تقصر عنه أيدى فارس والروم

هؤلاء اقوم ليس يحجروا بأساسهم في بيهم ويحجرون بحسبهم
 بين سائر الأجناس قد جلبت أمة عندهم محل العرش ولدوة ومحل
 المدح واحتضاره ومحل العلم والصناعة ، حتى أصبح الفخر بها علامة من
 العلامات التى يتميرون بها في عرف علماء الأجناس البشرية ، فإذا وجد
 لمخر باللعنة فتنت علامة العرب من العناصر عامة من أقارب الساميين إلى
 العرباء عنه من الآريين والصوريين والحميين ، ثم تتحلى بهم دون
 - ر لا محسنة مظاهره لمزيد في تزيين الأدب والشعائر - وهي

العلو بالبلاغة حتى تكون البلاغة في قسطاس كل محاطب بالقرآن الكريم
تحدياً بيوتاً ، وتحدياً ربانياً . من محجزات الإله التي لا تتسامى إليها قدرة
السعاء في أمة السن والبيان

وهذه ظاهرة متحلية لمطر القرب والبعيد لا تخرج من المستشرقين
إلى بحث عن مجهول أو معوم مما يخفى ، يكتب بهذه المعجزة لأمة حلت
من مآثرات البلاغة في شعرها وجميع كتابها . وما هو خائر عقلا أن
يتحدى القرآن وهي لا تعرف من كلامها شيئاً يتجه إليه ذلك التحاكي
ويبدو عليه المورثة في عرف الخبراء بالكلم السبع فانيقاس المستقيم أن
القرآن نزل في قوم علمه بلاغة موروثة بتدقيقها ولا يحفلون أعلامها . وأما
لقول بأن بلاغة الخهمية لم تكن حقيقة وقعت وإنما صيغتها بروه
اصططاعاً بعد الإسلام سنداً للقرآن ودفعاً لنشأت عنه من المؤمنين به
فليس من نقياس المستقيم في مقياس غير مقياس أولئك المشركين وما
كان لحاجي الكافر ليقبل آية قرآن ولا يشك في فصاحه القرآن ثم يأتي
بسلم المؤمنين فلا يشك في فصاحه قرآن إلا بكلام يحلفه حينئذ بسبب إلى
أولئك الخهلين . ولقد حدث بعض ذلك في كثير من الشوهد على
صحة اللغة وسلامتها . فكان للقرآن مرجع مصححين في مختلف عليه
• يتعول له سند لا مرد فيه

ومنها سبع من ضعف له ذكره بالعادة ولست هي بالصعيفة
فمن سبع من سبها أن يقطع الحد عن أخبار به وأخبار به . وأن
يسمى لغة سمعها في حياته أو سمعها أبوه قبل مولده . فما كان جبالاً أو
ثلاثة أحيال بالامتحان العسير لذاكرة قوم لا معوم هم على غير اندكرة
ورؤية الأخلاف عن الأسلاف . وأنه شائع أو يستحب أن يشأ الأسلاف

في حيل عيهم لغة التي تسب إلى شعراء اللعلقات وقدمهم م يسق
 حيل لاسم ما كثر من مائة وخمسين سنة ، وفي هذه السنين خاصة
 توحد حساب التاريخ ربولاه فلامس العرب وحالموا فيه تقويم يهودي
 حساب المسيء . فكان حصاده من عوف ناسا عند ظهور الإسلام ،
 وسقته نوه عوف بن أمية وسقته نوه أمية بن قلع وسقته نوه قلع بن
 عباد . وسقتهم الحرون إلى عهد القلمس من بني كنانة . فهم في تاريخ
 معلوم متسلسل قبل الإسلام بأربعة أجيال

ومن ههنا استشرقى هؤلاء أنهم لا يجازون من تاريخ العرب
 مصعب بصيصه غير لغة والأساس . وكلهم يتحدقون على العلم في
 سكونهم المذكرة بالتاريخ لعرب أو إسلامي من أقدم عهوده . ثم يأتي
 اعم هيب بالكثير من الحوسة صدق خرافة المزعومة وكذب العلماء
 براعهم حتى لقد أصبح لبحرهم حفا هؤلاء الخفقي الذين لا يعرفون
 من التحقيق إلا أنهم كل رواية عربية أو إسلامية بالتحريف

من أقطاب هؤلاء محرفين من أنكر عاداً وثموداً وأنكر الكوارث التي
 أصابهم بغير حجة ، إلا أنه بحسب أن المكر لا بطلان بحجة ولا يعاد
 على النبي حرف مما لشوا طويلاً حين سبهم أن عاداً (Oadita)
 وثموداً (Thamudida) مذكوران في تاريخ بطليموس وإن اسم عاد
 مقرون باسم نهم في كتب اليونان . فهم يكتبونها « أدرايميت » Adramitae
 ويؤيدون تسمية القرآن لها عاداً أنه ذات نهم وعمر اسقف
 موريس لشكي Musil¹⁾ صاحب كتاب الحجار الشمال على آثار

(1) Northern Hejaz by Musil.

هكذا عند « مدين » منقوش عليه كلام بالصفة وايضا اية وفيه شارد من
قنائل محمد

ومن قطاب هؤلاء مخربين من أنكر برحمه ونكته حيث وانتمائه
تتبعين الكعبة وسائه فقيس في صعاء لصرب عرب عن الكعبة بها
ثم تكشف النقوش عن سمه على حراث سد مأرب منقبا بالأمير الحشني
من قس « ملك الحبيشة وسأ ويريد وحصر موت والجمامة وعرب البوعر
والسهل » ويتواتر الخبر عن الحدي الذي نقش في منتصف لقرن
السادس للميلاد فيذكره بروكوب (Procope) من ورر
القسطنطينية . وبيروت لرحالة بروس (Bross) الذي رار ملاد
الحبيشة في القرن الثامن عشر أن الأحياء يدكرون في تواريخهم أن البرهة
قصده في مكة ثم ارتد عنها لما أصاب جيشه من المرض الذي يصعبونه
بصفة حدي . ولا يقل عن هذه لأساييد جميعا سد التاريخ بعد
اعل قس بعثة محمدية خيل واحد . بل قل من خيل

وسد مأرب برمه لم يلم من الكذب . وساء فريس لنكته بعد
مريد لبي هو أيضا مخرب في رعه هؤلاء المخربين ونكه لبي من يدحصة
من المؤرخين لأوربيين المعاصرين . فكتب كررويل تحقيقه الذي يقول
فيه « إن العالم ليون كايثي يذهب في القول بأن قصه بعمير قرش
بكملة ليست إلا حرفة من سح خيل . فاليوم شت له حلي بعد
ما أوردناه من الحقائق من ساء بكملة على لطراف الحشني في سنة ٦٠٨
ملاكية ووحيد الصور لمسيحة التي كانت على مظهره وقيام معمار حشني
سائها وهي جميعا حقائق منسكة آخذ بعضها برقاب بعض صدق

رواه مؤرخين الذي قصوا أخبار هذه العجالة وصحة مدعبي إليه وبطلان ما يدعيه كـ شلى من اختراع هذه القصة وتلفيقها (١١)

وعن نقف هذه التواريخ عند حدتها ولا يجوز مدها . فحسب النظر في التاريخ أن يفهم منها أن بخار العرب عن لغتهم وعن أوتلهم لاندحص حملة واحدة . وقد لحاظها البالغة وتتناقض حولها العرائث . بل ربما كان من دواعي إحصائها أن تبرا من كل مبالغة وعراة . فأما تكديب الذي يعاب على العلم وسحقه بالخرافة فهو هذا التحقيق الذي هو أهون وأصر من التخريف

. . .

إن الحوادث الكبرى تستدعى المقارنة بين فهمها لها بمقاييس العلم ومقاييس الفلسفة ومقاييس العقيدة . ونوحى إليه في جميع الأحوال أن مقاييس العقيدة أحلصها إلى أعماقها وأقدرها على التفسير كلما استعاشت العقيدة في الأهم قوة الحياة وقوة الضمير

ولإسلام قد استقصى تاريخ العرب بل دعونه فجمعه كله في الوحدة القومية وأقام هذه الوحدة على ركنيها الدين لأقوامها بغيرهما على تسامد واتفاق . وهما ركني اللغة وركن الحرية الدينية . وكلاهما كان تمهيدا صالحا لظهور الدعوة الإسلامية

إلا أن معجزة الإسلام في جميع مقدماته ونتائجها إن هذه النتائج لم تكن قط منقادة مسخرة لتلك المقدمات . فإن هذه العصبية الدعوية

(١١) مجلة التاريخية المصرية . عدد أكتوبر سنة ١٩٤٩

لدينا قدالت في يد الإسلام إلى دعوة إنسانية عالية لا تنكر شيئاً كما تنكر
لعصية الجاهلية . ولا تعرف رباً غير رب العالمين ولا قسطنطين غير
قسطنطين لعمل لصالح يتفصل به نقرشي والحبيشي والعربي والأعجمي
وعترة النبي ومن بيست بينه وبين النبي لحمة غير لحمة الإيمان .

ويعود فقوب إن شأن اليهودية في توصيح هذه الحقائق أعظم من كل
شأن لها في الجزيرة العربية . هي لا تزاع فيه أن أساساً من اليهود قدموا إلى
صحيرة مدعة غير المدعة الجاهلية فاحتضنوا بلغة الدين للدين ومن بعض
عبيهم ومن طويل حتى غم النعام بينهم وبين سائر العرب بلسان الحجارة
وسهامه ونجد ومن حاورهم من الأساط وعرب الحيرة ونادة الشام .
وهذه حقيقة تاريخية واقعية مسقطه لكل دعوى ينحدرق بها ادعاء العلم
من محترفي التبشير والاستشراق .

المسيحية في الجزيرة

ما المسيحية فقد كان لها مدخل إلى الجزيرة العربية غير هذا المدخل
فلم تصل إلى داخل الجزيرة عشيرة كبيرة أو صحيرة من المهاجرين . ولم
يأتها قوم بلسان غير اللسان العربي كما حدث في هجرة اليهود . ولكنها
شاعت بين قبائل من العرب في جزيرة الدور التي سيطرت على أطراف
الجزيرة . وهي بيريظية وفارس والحشة . وكان مذهب لعامل القائم
بالأمر في دولة بيريظية أثر كبير في توجيه الشغل والمداهب في بلادهم وبلاد
أعدائهم . وقد حدث في مدى قرن واحد أن العواهل كانوا يحرمون
المسيحية على عبيدهم ثم دانتوا بها على مذهب وجاء من بعدهم فدان بها
على مذهب يعاديه ويرميه بالكفر والزندقه فمن شاء أقام مع العاهل في

بإلاد طائعا له أو مداريا لأمره ولا هي بلاد أعدائه من الفرس متسع له
يحل فيه مذهبه وسطى في سعيه المعمل وشيعته غير ملوم ولا ممتنع

وأقلت إلى الحرية العربية آحاد من كل نخلة مسيحية عصب عليها
عاهل القسطنطينية . فهاجرت إليها ذات متفرقة من أنبا أريوس
وأوريجن وسطور ولويسان الأنطاكي وجماعة المشبهين وجماعة القائلين
بالتطبيعة الواحدة والقائلين بالتطيين

وكان تسطور بطريرك القسطنطينية يشر مدعاه بياس الدولة ثم عرب
وتنقحه حصومه بالنسبة إلى أرمس سونة . ومحمور مدعاه أنه بعض من
لباسوت واللاهوت في سيد المسيح ويرفض القول بتأليه لعداء عليها
صوت الله . وكان الأنطاكي يافض تفسير الكتب الدينية بأسلوب
المخارات والرموز وينتزم البسط والبص في فهم معانيها ومبانيها لعمية
وكان أريوس يقول إن لكلمة هي وسطا خلق ويقول أريوس : إنها
مخلوق محدث به «شرف على سائر المخلوقات . وإن هذه الكلمة
تجسد في سيد المسيح فظهرت على مشا لإبسان . وآخرون يقولون
إن جسد السيد المسيح تشبه بالجسد وليس بالجسد المادى بدى يحكى
جسد الإنسان . وإن في لاهوته أصل وأرفع من أن يتعدى أو يتصرع .
وصيغته عند أصل لم تكن «دنى» بل كانت «دنى»
قوتى ! كما ورد في بعض النصوص

ويعترف جورج سيل مترجم القرآن بما كانت عليه حال المسيحيين في
الحجاز من السوء والبصالة . فهو في مقدمته بترجمة « من المحقق أن
ما لم يركبه لشرفه من لأصمهاد واحتلال لأحوال في صدر المائة

الثالثة للميلاد قد اضطرب كثير من بصراحي أن يتحأو إلى بلاد العرب طلب سحرية وكان معظمهم يعاقبة فلذا كان معظم بصاري العرب من هذه القرى وهم لقنائل بني منصور حمير وعسان وربيعة وتعب وهراء وسوخ وبعض طيبي وقبيلة وأنجل نخون والحيرة . ولما كانت انصهرية هذه لثمة من الأمسدد في بلاد العرب برم عن ذلك ولأنه كان لمصاري سافقة في مرصع حمة منها لتتظم بهم سياسة الكنايس وقد تقدم ذكر سقف طماروقا وبعضهم كانت حرن مقام أسقف وكان يعبأه أسقف . يدعى أحدهم أسقف العرب بإطلاقي لمعنى وكان مقامه بأكوة وهي بكوفة عند بن العري و بلدة أخرى بالقرب من بغداد عند أبي الهناء ، وثانيها يدعى أسقف العرب التعبيين ومقامه بالحيرة . أما الساطرة فهم يكن هم على هدين الكرسيين سوى سقف واحد تحت رئاسة يطريركهم ،

على أن يقول « أما الكنيسة الشرقية فإنها أصبحت بعد انفصال مجمع أليقاري مرتكة مما عشت لانكاد تنقصي وتنقص حينها مما حكت لأريوسيين والسصرة ويعقوبية وغيرهم من أهل بدع على أن الذي ثبت بعد بحث أن كلا من بدعتي الساطرة ويعقوبية كانت بأن تدعى اختلافا في التعبير عن معتقد أولى من أن تدعى اختلافا في معتقد نفسه ، وير تدعى حجة نتجت بها كل من مساطرين على الآخر أولى من أن تدعى ساسموحا لانتقام مجامع عديدة يردد إنها جماعة القس ولأساقفة وبيحكون ليعلى كل واحد منهم كلمه ويخيل بقضايا إلى هوه ثم ينافدى كنيسة منهم وأصحاب المكنة في قصر الميث كان كل واحد منهم يختص به من قود الجيش أو من أصحاب خطط

يكون له عليهم ابلاء وتقوى هم . وبذلك صارت المناصب تنال
 برشي والصفة تنازع وتشتري جهارا أما الكيسة العربية فقد كان فيها
 من تهالك دماسوس وارمكيوس في مشاحة على منصب الاسقفية
 أي اسقفية روته - ما أفصى إلى احتدام نار الفتنة وسفك الدماء بين
 حرييها . وكان أكثر ماسأ هذه مناقشات عن القياصرة أنفسهم
 ولا سيما القيصر قسطنطينوس فإنه إذ لم يقدر أن يميز بين صحيح الدين
 المسيحي وخرافات المعجائز دبت الدين بكثير من المسائل الاخلاقية
 هذا ما كان عليه حال لصرانية في غير بلاد العرب أما في بلاد هذه
 الأمة التي هي موضوع بحثنا فلم تكن خيرا من ذلك فكان في
 بصرى العرب قوم يعتقدون أن نفس نفوت مع الحسد وتشر معه في
 اليوم الآخر وقيل إن أوريجانوس هو الذي دس فيهم هذا المذهب . وكم
 وكم من بدعة انشرت في جزيرة العرب حتى لا نقول نشأت فيها ؟ فمن
 ذلك بدعة كان أصحابها يقولون بألوهية العذراء مريم ويعبدونها كأنما
 هي الله ويقربون لها أقراصا مضمودة من الرقاق يقال لها كلبرس وسما سمي
 أصحاب هذه البدعة كبريين وعصلا عن ذلك فقد حتم
 أيضا في جزيرة العرب عدد وافر من الفرق المختلفة الأسماء لجأوا إليها هربا
 من اضطهاد القياصرة .
 فحالة التي تمتد بها الصراية في حرية العرب لم تكن حالة هداية
 يحيط بها مذهب واحد صالح لتعليم من يتعلمه . بل كانت شيعا سياسية
 ومذاهب متارعة يتوقف العم بالصالح منها على هدى الماطرين فيها وعلى
 ماعدهم من البصر لثقاف والبداهة استزهة التي يعود إليها الفضل فيما
 نقله وثابه . ولا فضل عليها من يعلمها بحجة من تدك النحل تقدح في
 سائرها وترمي الدين يتبعونها بالكفر والضلال .

ولقرآن الكريم يصف هذه الحالة بين أهل الكتاب جميعا كما جاء في
سورة المائدة عن طوائف اليهود والنصارى

قال عمر بن قائل - « ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل ومعنا معهم
اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لن أقيم الصلاة وآتيكم الزكاة وأقسم
بوسلي وعزيتوهم وأقسم الله قرضا حسنا لا كفرون عنكم سيئاتكم
ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد
ضل سواء السبيل ، فلما نقضهم ميثاقهم لعاهد وجعلنا قلوبهم قاسية
يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على
حائلة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين .
ومن الدين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به
فأغرنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسرف بينهم الله بما كانوا
يصنعون »

هذه حالة النصرانية في الحجر كما عهدنا لبي عليه السلام قل
مبعثه - وهي هذه المثابة من مقدمات رد الفعل لأمس مقدمات التهميد
والتحصير ، سواء كل ذلك في أمر النبي أو أمر حكام من ملوك الهدية
الذين عرفوا باسم المتحفين أو المتحشدين

ويسمى لاخراس من قور القنلين إن أحدا من أولئك المتحفين أو
أحدهم - تصر أو يهود على مذهب بمصل مستوعب لمقائد النصرانية أو
ليهودية ، فكل ميصح من أحذر الخنفة أنهم كانوا يعرفون أن الإيمان
بالإله الواحد أهدي وأحكم من الإيمان بالنصب والأوثان . ونحب
بن هشام قد صدق الرواية حقا حين قال عن أشهر هؤلاء سجد

يدرس عمرو من حسن أنه « وقف وم يسجل في يهودية ولا نصرانية
 فارق من قومه فاعترب لأوثان ومليئة ولذائع التي تدع عن الأوثان
 وهي عن قتل ابوءودة وقال أعد رب إبراهيم . وكان يسد ظهره
 إلى الكعبة ويقول يا معشر فرس ! والله من ريد من عمرو بيده
 ما أصبح منك على دين مراهم عيرى . ثم يقول اللهم لو ألقى أعظم
 الوجوه أحب إليك عندك ولكي لا أعلم »

ومثل من قيل ورقة من يوفى لدى فصدت إليه السيد حبيجة
 سنانة عن حنبل الذي يطق لني عنه سلام باسمه أمامها ، فإنه كان
 يصل لقراءة في كتب اليهود والنصارى ويعلم أن عباده لا يصام ضلالة
 فيتمسك الهداية في غيرها ولا يستوي العلم ولا الإيمان بأي لياطين .
 وعادة لأمر في بصرينه كم قال من هشام أنه « كان بصرا ما تنع الكتب
 وعمر من عمر لدمس . وقد ذكر عنه مع ثلاثة من صحابه . أحدهم
 من يقبل - أهم كبر قد انصرفوا من عبد صم يعظمونه في يوم عيد
 فقد بعضهم بعض « تعلموا والله ما بهمكم على شيء » لقد أخطأوا
 دين أيهم إبراهيم . حجر بضيف به لا سمع ولا بصر ولا يسمع
 يوم ! تنبوا لأنفسكم فاكم والله ما أتم على شيء »

قال من همام فتفرقوا في السداد ينسبون خيفة دين إبراهيم

وحن نعم من نمران الكريم أن لمشركين كانوا يقولون إسم لم يعدوا
 لأرب والأوثان إلا ليبروهم إن الله رلى . وميرى في الكلام على
 لكعبة أن حقبة لتي سفت بعثة لتي شهدت طوائف من المتهدين في
 عبادة مهم حائفة لحسن لتي احتضت الحرم وحده بالتقدس

وتسكت بصروب من العادة لم يتبعها أحد من قديم في الحاهية فقد
كانت حقة يذن حقة حائره بين العادات وم تكن عادة مها تستأثر
بصير صاحبها أو تعبته عن الطر في غيرها . وقد كانت هذه الحيرة في
حاج من جوابها على الأقل ثمر من آثار الجامعة انقضية أو آثار من آثار
اشوق إلى دابة جامعة غير ذرية لأصنام المنقرقة بكل قبلة من لقائل
صنم تنهد به أو تميزه بين رموز الأصنام المشتركة

فقد كانت القائل بعد أصنامها وم تكن في حاجه من الاشتراك في
عبادة واحدة تشمها بها وحدت هذه الحجة بسوا بعض في كل
عبادة من عبادتهم وذهب أصحاب سطر منهم يبحثون عن لذن
اصالح ويستنهضون من كلمة « بيت الله » قبسا بقرهم من الله ومن ديانة
رب الت ونايه إبراهيم عليه السلام . وقد يد بسب الحاربيون أنفسهم
ان إسماعيل بن إبراهيم وسهم إليه أصحاب التورة وعباء الأساب

ون اصدق وصف للحالة الدينية في عصر البعثة بدسة لها حله
بعض في كل محبة وكل عميدة . هم نعم من أحبار لوثية قط أنها كانت
بتوعب المؤمنين بها ونعمه أن يأخذ بعض الشعائر من هيا وأن تقبل
بعض الآراء من هناك ولم تكن الحدود بين التحل ولعادات لدييه
منحجرة مستقرة على قرر لا يبدل بالتدين ولزيادة واستحوير . ولم يكن
المتدين منهم جميعا يتسه إلى الانتداع في أمر لذن إلا أن بسومه الحروح
على قومه والراية بشرعة الآباء والأسلاف فيرشد ثقلب المسألة من
نصرف في الشعائر والآراء إلى المحوة لعصية واعيرة على لأحساب
ولأساب . وتصلدم لمدعه الحديدة يذن بانعصية القومية كنها في

إبان اليقظة ولطمرح . وهذه لصدمة لم تفاجئ أبناء الجاهلية قط من
محلة بحكومتها أو يستحيون لها بحكم لمسايرة و محاراة ، وإنما فاحأتهم من
دعوة الإسلام وحده فتمردوا عليه ذهبا مع العصية وثرث الحب
والسب وم يسمردوا عليه دياذ عن مه شاملة تتأثر منهم بالصائر
والأفكار .

فاليوحدة لقومية مهدت للإسلام إلى حد محدود ، ويسرت له الأمر
بالتوقع ولانتظار ثم وقت دون العاية حين اصطدمت لقومية بالدعوة
الحديثة ووجب أن تكون الدعوة الحديده إلى قوة أكبر من قوة القومية
الى اعترافها المشركون وحلوطها بما ألفوه من السيادة والمصلحة في
الراث القديم .

فاليوحدة القومية تمهدت طريق الإسلام . وبقوة الإسلام برزت من
اليوحدة لقومية شريعة للإنسان وعبادة رب العالمين .

ولم يذكر فيها تقدم عاملا من أشهر عوامل هذه الوحدة لقومية وهو
يوم دى قار الذى انتصر فيه العرب على الفرس وارتجت به حرية
العربية بانصحر والأمل في مطلع لعصر الإسلامى وعند ولادة اسى عليه
السلام .

لم يذكره لتضعه كما وضعه أناس في مقدمة العوامل الكبرى ،
ولاسبه ها لحبه بها ولايقدمه عليها ، علو لم يكن يوم دى قار
لكاتب الوحدة العربية وكاتب يوابعها الذى حققت بها في أواسها ولعن
وثمة دى قار جاءت بعد لوحدة القومية ولم تسبقها ، ولعلها كانت
الحولة الثانية بعد الحولة الأولى على تخوم لدولة الفارسية . فلي تنازع

أمراء الحيرة وشواهيين الدولة غمت الدولة على لإمارة وقصى الأكاسره
والشواهي على المناذرة والسعديين ، ولما لتقت سطوة فارسية وبحوة
عربية في حولة الثانية طمرت انقذائل حيث أحقق الأمراء .

كمت ذو عار وليلة لمحوه العربية وم تكن أمها التي ولدتها ، ولما
كانت أم الأمهات في هذه النهضه وحده اللسان ووحدة الحيا

♦ ♦ ♦

النبوة المحمدية أوائل النبوات

ندع الآن هذه الوحدة ريثما نعود إليها في الكلام على الكعبة المكية .
ونرجع تاريخنا إلى أوائل نبوت محمد صلى الله عليه وسلم في حتامها برسالة
المحمدية ، في تاريخ النبوة من أوائلها أصبح المقدمات لبيان فصل النبوة
كما بحث في خاتمة الأنبياء .

من قدم الزمن وجدت لرعة في العلم بالعباد وسفلاء
المجهر . ووجدت لذلك علامات كثيرة يتفق عليها الناس عامة من
قبيل رحر الظير والتناول بالكلام بسوء والماطر التي نشر بالخير
والسجاح أو تنذر بالشر والحية

هذه العلامات العامة كانت معرفة شائعة بين الناس لا يختص بها
أحد منهم دون غيره ، فكل ما عرفه الناس قديما من علامات التناول أو
علامات التشاؤم فهو ميراث الجماعة يشاقلونه على وتيرة واحدة من الآباء
إلى الأبناء .

كس امرئة في سفلاء العيب ومواضعه المجهر لم تكن كلها من
هذا القبيل ، ولا سيما المجهر التي يعرفه الآفة وحدهم ولا يكشفونه لغير
مقربين من عبادهم . وهم حذرم معاندتهم والأمناء على مشيتهم
والمرقبون لوجيبهم في بيوتهم وسائرهم . فرى عرس لفقيلة عارض حسم
لا تعرف وجهتها فيه . ولا يلحقها عن هذه الرحلة ظير يره فرد من أفرادها

على صورة من الصور . أو كلمة سمعها من غابر صديق يستوحى منها
 لشارة أو الإنذار . فإن شئون الفرد غير شئون القبيية . وليس الفرد من
 عامة أفرادها أن يدعى لنفسه القدرة على سؤاها وألمهم عنهم في
 معاملهم ومحاريبهم . مع وجود الكاهن الذي انقص لخدمة الأرباب
 وورث هذه خدمة من آتائه وأجدده في أكثر لأحوال . ولا مع وجود
 الكاهن لدى ربى من صاه في مهد العادة ليقترن من لأرباب
 المعبودين ويفقه عنهم من إشاراتهم ومضامين وحيهم ما يحى على سواء

ومن قديم لرس أنصاً واحد لكاهن « المختص » و« واحد » لرأى «
 لهم لدى تختاره الإله لسلط يساه وأخبر بوعده ووعده . ولم يكن
 بين عمل الكاهن وعمل لرأى تدقض في هذا الأمر . لأن كلام الرأى
 كان يحتاج إلى تفسير الكاهن وحل رموزه وبني « النهاية » من حظه
 وضطره إذ كان الغالب على الرأى أنهم قوم تملكهم حاة « لوحده » أو
 « الجذلة » أو « نصرع » فيتدفقون بالمعد ولوعيد ويدرون أساس
 بالويل والشورة . ويقولون كلاماً لا يسكرونه وهم مقيفون . فحسب
 لسمعون أن الوثن المعبود يجرى هذا الكلام على أنسهم للموعظة
 واسصره . وسمى النصرع من أجل هذا بلرخص لإلهى في لقلب
 القديم

وكان سبون يسمون الرأى مانى Manus ويسمون المعبر عنه أو
 المعبر الكلامه بروفييه Prophe أى التكميم سساة عن غيره . قل أن
 تنس هذه الكلمة على التي معناها مأثور في لأديان الكتابيه . ولكن
 فرق بين لرأى والكاهن م يرب ملحوظ في الأرمية لتأخره كما كان

مخصوصاً في الأرمسة العامرة والكهانة وصيفة والرؤية طبيعة ، ولكاهن
يقصد مايقوله والرائى يساق إليه ، وقد تشترك الكهانة والرؤية في شخص
واحد ويطل العمالان محتملين ، فما بقوله الكاهن قصداً غير مايقوله وهو
« راء » ينطق لسانه بما معه وما لا معه

وبصطدم العمال كثيراً بعد ارتقاء لديانة وامترحها بالفضائل
الأخلاقية والفرائض الأدبية . فإن الكهنة في هذه الحالة يحمدون أحياناً
على المراسم والشعائر ويحافظون على ماضيهم بالناس الخطوة عدد دوى
سلطان في بلادهم ، ويومئذ يختلف عن الكاهن المرسوم وعمل رائى
المنطوق ، فيثور الرأى على الكاهن وينهم في أمانته وديانته . ويحدث
بينهما ما حدث بين « أمصيا » كاهن بيت إيل وعموس رائى ، إذ يحذره
الكاهن على رزقه وحياته فيقول له : « يا لرائى اذهب . هرب إلى
أرض يهودا وكل هناك حراً وكل هناك سباً وأما بيت إيل فلا تعد تنبأ
فيه بعد ، لأنها مقدس الملك وبيت الملك »

« . . »

وقد وجدت الكهانة والرؤية بين العبرانيين من قدم عصورهم كما
وجدت في سائر الأمم . وم يسمعو الرأى عندهم باسم النسي إلا بعد
اتصالهم بالعرب في شمال الجزيرة . إذ وجدت كلمة السوة في اللغة
العربية كما قلنا في كتاب أنى الأنساء « عبر مستعارة من معنى آخر . لأن
اللمة العربية عنية جداً بكلمات العرافة والعيافة والكهانة وما إليها من
كلمات انبى لا تنس في اللسان العربى معنى اسوة كما تلمس في الألسنة
الأخرى والعبريون قد استعاروها من العرب في شمال الجزيرة بعد

اتصدهم بها ، لأنهم كانوا يسمون الأنساء الأقدمين بالآباء وكانوا يسمون
مطلع على العيب بعد ذلك باسم الرائي والماطر : ولم يفهموا من كلمة
السوة في مبدأ الأمر إلا معنى الإنذار . وقد أشارت التوراة إلى ثلاثة
أسماء من العرب غير ملكي صادق الذي لقبه الخليل عبد بيت
المقدس . . . وهم يثرون وبلغهم ويوب ومهم من يقال إنه ظهر قبل اثنين
وأربعين قرناً وهو أيوب :

ويعرر هذا الرأي مسحاء في موسوعة الكلمات اللاهوتية ⁽¹⁾ في التوراة
عن عالمين من أكبر علماء التاريخ العبري وهم هولشر Holscher
وشميدت Schmidt فإنهما يرجحان أن كلمة السوة مما استعاده العبريون
من أهل كتعان بعد وفودهم على فلسطين

النبوة والجنون

، عرف الأقدمون من العرب والعبريين كلمة السوة قبل بعثة موسى عليه
السلام ، ولكنها لم ترتفع بينهم إلى مكانها الجليلة التي يعلوها اليوم دفعة
واحدة ، وغير عنهم دهر طويل وهم يخطون فيها وبين كل علاقة
بالغيب ، وينظرون منها لكذب كما يتصورون منها انصاف شأها في ذلك
كشأن غيرها من الدلالات على المجهول ،

فخطوا فيها وبين الجنون ، كما خطوا فيها بين لسحر والكهانة
والتنجيم والشعر ، وأضعف من شأن النبوة عند بني إسرائيل خاصة أن
لأنبياء بينهم كثروا وتعددت نبوءاتهم في وقت واحد فتناقضوا وأشار

(1) A Theological Word Book of the Bible. edited by Richardson

بعضهم بما يهوى عنه الآخرون ، فأصبح لأبياء عندهم قريصين يتشابهون في المسلك والمظهر ويختلفون بالصدق والكذب ، ولا سبيل إلى معرفة لصادق والكاذب بغير امتحان الحوادث التي تأتي أحيانا بعد نسيان ما تقدم من النبوءات

وغلب عليهم في مبدأ الأمر عقيدة شائعة مذهبون السبي وعيابه عن لوعى في جميع أيامه وفي الأيام التي يملكه فيها الوجد لا يهوى على الخصوص . كأنهم يرون أن بغية و لا تصاب بالغيب شيء واحد . وكأنهم يحسبون أن الانقطاع عن شواغل الدنيا آية على صدق إلهي وإقباله بجملة على الله

ويؤخذ من سفر صمويل الأول أن المنشئين كانوا يطهرون جماعات جماعات « إذ أرسل شاول رسلا لأخذ داود فأو جماعة الأسبيء يتشاورون وشاول واقف بينهم رئيس عليهم . فهبط روح الله على رسل شاول فتسأو هم أيضا وأرسل غيرهم فتسأ مؤلا . فجمع هو أيضا ثيابه وتسا هو أيضا أمام صمويل وانصرح عاريا ذلك النهار كله وكل الليل »

ومن لم تمكنه حالة الوجد برياسة لمس على خشونة والشطط وتعرض جسده لحرارة الشمس وبرد الليل فقد يستعين على اكتسابه بالسبع والحولان ويتقل هذه الوسيلة إلى لنشوة أو بغية فيطلق لسانه بالنبوءات والرموز ويستخلص منها السامعون تفسيرها في حرت عليه عاداتهم من التأويل والتخريج

وفي سفر صمويل قبل ذلك « أنه يكون عند محيئك . في يديه أنت تصادف زمرة من الأسبياء نازلين من الأكمة وأمامهم رباب ودف

وباني وعباد وهم يتسألون . فيحل عليك روح الرب فتنبأ معهم وتنبأون
ن . رجل آخر »

وفي سفر الأبياء الأول أن دود ورؤساء جيشه أقروا بالخدمة لبي
ساحب وحيات ويدوثون المشيئين بالعباد والبراب والصورح »

وقد بعزل بنو الأساء كأهم يرشحون أنفسهم لسوة بعد تأتهم حتى
بصنهم مكاهم كمن جاء في سفر لموك الذي « وقال بنو لأسياء
ألبشع حير د الموصع الذي نحن مقيمون فيه أمامك قد صادق علينا
فلنذهب إلى الأردن »

وعلى هذه الحيرة التي كانت تسبب القوم بين سوءات الكثرة م
نكنهم عني عن السي الصادق الذي يحذرهم غضب الله وبلعهم
مشيته ويملئ عليهم فرائضه وأحكامه فلم يعرضوا عن الأنبياء كل
لإعرض ولم يقبل عليهم كل لإقناع . ورجعوا بن التحيرة في لتفرقة
بين السوءات . وعقيدتهم في ذلك ماحد . في سفر التثنية خطايا موسى
عنه لسلام « وأقيم ضم نيا من وسط إخوتهم مثلك وحسن
كلامي في منه فيكلمهم بكل ماأوصيه به . ويكون أن الإنسان الذي
لا يسمع كلامي الذي ينكلم به يسمى أنا أظالبه وأما السي الذي
يعرض عليكم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم الله
أخرى سموت ذلك السي وإن قنت في فلك كيف تعرف الكلام الذي
م يتكلم به الرب فما ينكلم به السي باسم الرب وم يحدث وم يصرف هو
الكلام الذي لم ينكلم به الرب . بل بطعيا نكلم به السي فلا تخف

منه »

وعلى هذا انقسم المتنبئون أقساما ثلاثة . نبي يتكلم باسم الرب ، ونبي يتكلم باسم آلهة أخرى . ونبي يتكلم باسم رب إسرائيل ولكنه يطعن عما في قلبه على وحي ربه ، فيخلط بين ما يقوله هو بلسانه وبين ما يجريه الله على لسانه لينبئه إلى قومه .

والمرجع في التفرقة بين الأنبياء إلى صدق النبوءة . فإذا امتد الأجل بالنبي حتى يشهد القوم صدقه في نبوءة بعد أخرى فذلك هو لنبي المختار الذي يطع ونكتب عنه النبوءات . ورعا قصي صدر حياته مهانا مشود بين قومه كما حدث للنبي أرميا لدى أصبح عند كثافة العهد القديم في رمرة كبار الأنبياء ، وقد حكى ذلك فقال في الإصحاح العشرين : « قد أقنعني يارب لاقتنعت وألححت على فقلت . صرت لبصحك كل النهار . وكلهم قد استهزئوا بي لأنني كلما تكلمت صرحت ناديت طم وغتصاب فقلت لا أذكره ولا أنطق بعد باسمه . فكان في قسي كنار محرقة محصورة في عظامي »

نبوءة الأحلام والرؤى

ومن الحق أن نذكر أن المتنبئين لم يتطلعوا جميعا إلى مكان النبوة العليا - نبوءة القيادة والتعليم والتشريع - ولم تكن نبوءة للكثيرين منهم مستمدة من شيء غير الأحلام والرؤى وحيشان الشعور والحاحه على صورة واحدة . يعجز تنبئ عن صرمها فيجهر بها صارحا كما فعل أرميا كأنه يستعيث من لاعج في صم لا يقوى على كتمانها ومهم من كان يرى الرؤى ثم تتكرر في منامه ، فيقصي بها إلى قومه بحافة الكتمان وحذرا من أن يكون هذا الكتمان كوصف عن الدعوة وبمالة على العصيان والفساد .

وقل مهم من أطلع قومه أنه تلقى الوحي من هاتف مسموع أو شخص
منظور في حانة البقطة ، ومن هؤلاء القليل صمويل الذي « سمع قبل أن
يصفى سراح الله وهو مضطجع في تابوت الرب صوتا يدعو » ويعود إلى
دعوته شوكيدها ، ومهم دانيال الذي قال إن « الرجل حيريل الذي
رآه في الرؤيا ابتداء يلمسه عند تقدمه الماء ويتكلم معه ويقول له إنه حرج
ليعلمه الفهم ويرشده » . ومهم من كان يستعظم الدعوة حين يحسها في
صدره فيقول كما قد أشعيا « إني هلكت لأن إسان نحس الشفتين
سكن بين شعب نجس الشفتين » إلى أن قال « إن عيني قد رأنا ملك
رب الجنود فطار إلى واحد من السرايم وبده حجرة قد أحدها غلق
من على المدح رمس بها في وقال إن هذه قدست شفتيك فاسترعت
إثمت وكفرت عن خطيتك » .

وجدت نفس أرميا وهو صبي يحاظر النبوة ثم ألقى إليه أن الرب
يقول له « قبل صورتك في لبط عرفتك وقبلما خرجت من الرحم
قدستك جعلت نيا بشعوب » فاستكثر النبوة على سه وقال في
صلاته آه ياسيد الرب من ين لي أن أعرف الكلام وأنا ولد ، قد
الرب يده ونس له وقال « هاق جعلت كلامي في لك ، فانظر . لقد
وكلتلك هذا اليوم على الشعوب وعلى المالك لتقع وتهدم وتهلك وتنقص
وتبني ونعرس .

ولقد نحى الأنبياء الكبار على الشعب خطر المعجزات والآيات التي
يدعيها المتبشرون ، لأنهم عرفوا عجائب السحر في مصر وبابل وأشفقوا من
فتنتها على عمول السواد فلم ينكروا المعجزة الصادقة ولكنهم حسوا
حساب المعجزة الكاذبة التي يقتدر عليها السحرة وأتباع الأرباب المحرمين

فكان من وصايا سفر التثنية التي نسب إلى موسى عليه السلام ، أنه إذا
 قدم في وسطك نبي أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية
 أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلا لتذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها
 وتعدّها فلا تسمع لكلام ذلك اسي أو الحالم ذلك الحلم . لأن الرب
 إصكم يتحكمكم لكي يعلم هل نحبون الرب إصكم من كل قلوبكم ومو
 كل أنفسكم وذلك اسي أو الحالم ذلك الحلم يقتل لأنه تكلم بالزيف
 من وراء الرب . . .

لأن خبرة بين أصحاب الآيات والمعجزات ، تطل في عهد أنبياء
 سى إسرائيل ولا بعد ظهور اسم المسيح فكان الرسل يستدلون
 بالمعجائب والآيات العظيمة على صدقهم وكانت المعجائب الكثيرة تجري
 على أيدي الرسل كما جاء في سفر الأعمال ، وكان يولس الرسول يكت
 أهل كورنثوس ويسعى عليهم سوء معتقدتهم بعد العلامات التي صنعها
 بينهم وصبر عليها بآيات ومعجائب وموت . وكان إلى جانب هذا
 يتحذر الشعب ممن يقتدرون بقوة شيطان على الآيات والمعجائب الكاذبة
 « بكل خديعة الإثم في إلهائكم » .

وجاء في الرؤيا أن الأنبياء الكذبة يقتدرون على ذلك إلى آخر
 الزمان . . . ومن فم النبي الكذاب ثلاثة أرواح بحجة تشبه الصفاة ،
 فإبهم أرواح شياطين صاعدة بآيات تخرج عن موك العالم وعى كل
 المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم . .

ومد عرف اسم أسوة بين قبائل إسرائيل ظهر ليهم مئات وألوف من
 هؤلاء المستنسين لم يكن شأن لأكثر من مهم يريد على شأن الدراوش
 ليس يلبودون بأماكن العبادة أو أماكن الرياسة في جميع الأديان . وم

تكر هائل انادية ولا أهل القرى يصيقلون تكاليف معاشهم لأنهم كثر
يقعون بالقبيل من خبر والأدم ولخش الرحيص من ملاس الشعر
والصوف . وربما استراح إليهم الدهماء لأنهم يرحبون عن صدورهم
بالاجزاء على كراثهم وسرواتهم الذين يستسلمون بظمع والكبراء . و
رعا حسد هم لأمهات وآباء أنهم يباركون أطفالهم ويشعرون مرصاهم
ويجوهون أمهاتهم بأصرف من الأقاويل يمسرون رموزها بما يصب هم
ولا يشعرون منها رهق شديد لأنهم لا يحملون مؤنثها إذا حدثت بأحد
الحذ والخصامة . بل ترتفع إلى ندى ولالة الأمر ورؤساء الدين والكهان
والحكماء فيوقفون بين نقائصها أو يستخدمونها في تلقين الشعب ما يحبون
أن يقولوه بسنن المتشبين ولا يقولونه بأنفسهم . خوفا من تبعاته أو من
عيل الحيلة لمترجع دا حسن لديهم أن يرحبوا عما غرصوه وأثبته
كان حطب المتشبين من هذا القليل ميسور للقبائل ورؤسائها . حتى
إذا ظهر الأنبياء الكبار ظهرت معهم حالة كبرى لا تعرض كل يوم .
لأنهم لا يظهرون إلا إذا احتاحت القبائل إلى تعبير شامل في معيشتها
وأخلاقها ومعاملاتها . وقد يتقاصدهم الأمر محررة إلى بلداء أو قتالا مع
أهل البد الذي هم فيه أو مع أهل حوارهم . وليس حطهم مع المتشبين
لصغار محدبة مع هؤلاء الأنبياء الكبار دعاء التعبير الشامل وأصحاب
الحق في القيادة المطاعة . وإنما الحطة لمجدية لها هي الانقياد للدعوة
التي يحشى على من عصها أن يهلك بفص من الله ولو عم اهلاك قومه
أجمعين فلا يثبت البى الكبير أن يزل في منزلته بين القوم وأن يتولى
بيهم مكان القيادة والتشريع والتعظيم . وهو أرفع مكان يسمو إليه
عندهم صاحب حق أو صاحب سلطان .

دليل الأمان

إن مهمة النبوة كما قام بها هؤلاء الأسياء الكفار هي أعلى ما ارتفع إليه نظر الأقدمين من بني إسرائيل وغيرهم إلى مقام النبوة ، فقد كانوا يلقون عليهم كل معوهم . ويطسبون منهم مام يظنونه فط من دى ثقة أو مقدرة بيبهم ، فانتبت هذه المصالح كدفة إلى غاية واحدة وهي أن الننى « دليل أمان »

يقبسون مه اتعليم وهداية ، ولكهم يقسبون تعليمه وهدائه لأنه دليلهم إلى الطريق الأمى .

ويستمعون له فيما يبلعهم من أوامر لله ونو هيه ، ولكهم يستمعون له لأنه يزحزحهم عن طريق الغصب والتكال .

ويحب عليه قبل كل شىء أن يعرف العيب يعرف الخطر المتوقع عليهم وعلى أعدائهم المدين ببعصوهم ولا يقدرول على قتاهم ورتا صبو مه أن يكشف لهم العيب لما هو أهم من ذلك بكثير وهو تعريمهم بمكان المال الضائع والخيوان الضال .

ولشت مهمة ننى عندهم معلقة على دلالة الأمانة فى المكان المجهول والرمان والمجهول ، ولكنها دلالة الأمان من أخطار محسوسة تشبه تلك الأخطار التى تحدثها منها المراسد ومكاتب التأمين ، فيها أخطار الخراب وأخطار الرياء وأخطار لمصائب فى الأقارب والأعرء .

وله سمع أحد من أسياء بني إسرائيل مكانه أعلى من مكانة يعقوب الذى يسب إليه سو إسرائيل . أو موسى الذى يندسول له مباشرة ، ثم صمويل وحرقيد وأرميا من أصحاب النبوة ت غير المشترعين

وكل هؤلاء كانت مهمة النوبة فيهم مقترنة بالمهمة الأخرى التي لا تفكك منها ، وهي دلالة الأمان بالمعنى المتقدم . أو دلالة الأمان كما يترقيا الماء من المراصد ومكانب لتأمين . وإن تكن فائدة على الهدية والتعليم .

من سوءات عقوب يفهم أنهم كانوا يعولون عليه في رصد النجوم . وأن كل سم من أسماء الأبناء يشير إلى برج من بروج السماء . ولاستقصى الأسماء هذا بل تشير منها إلى مشير يعياك عن غيرها . وهما مثل يهودا وشمعون ولاوى « يهودا حرو أسد حنا وريش كئسد وسوة لا برون نصيب من يهودا ومشرع من بين رحليه حتى نأى شيلون وله يكون حصوع شعوب »

وهذه إشارة إلى برج الأسد . وكان عند البابليين برجان أحدهما برج الأسد أرحولا ولآخر أرماع أحد نجوم الدب الأكبر . وأمام الأسد في البروج رح يشير إلى علامة اسدك Seonls Rogulus اسدى تحصع له الملوك .

أما مثل شمعون ولاوى « فأحون . سبوعها آلات ظلم في محسها لا تدخل نفسى . » لأنهما في غصهما قتلا إسماع وى رصاهما عرفا ثورا

وهذه إشارة إلى برج الثورين . وهو برج إله الحرب « رجاله عد ساسيين ويصورون أحدهما وى يديه حنجر والأخرى يديه سلاح شبه اسحل ونشير عرقه الثور إلى برج الثور اسدى يشعقه الثورمان »

(1) The oracles of Jacob by Eric Burrows.

وسوء صحت هذه لإشارات إلى الأبراح واسجود أو كان فيها مظنة
للمحط والتجور من المفسرين فالتبوءات عن مصائر الأبناء بأسمائهم
واصحة لا تختمل التكذيب

وموسى الكليم طاله القوم من سرائيل وغير سرائيل في مصر بقدر
على السحر أعظم من قدرة السحرة وأصحاب الكهانة ولشحم - ثم
جاوروا تكليف الدلالة معه إلى تكليفه أن يبيئ لهم الطعام الذي يشتهونه
حسوبا بعد صوف وهم في واد انيه . نأمن من حمد فرعون

واحتجاج القوم إلى عيم العيب في عهد صمويل يسأونه عن ناشية
الصلاة ويأخروه على ردها « حمد معد واحدا من لعلهم وقم اذهب
فتش عن الاتن فقال شاون للفلام هذا يقدم للرحل ؟ لأن
الحر قد نفذ من وعيت وبس من حدية يقدمها لرحل الله ماد معا ؟
فعاد العلام يقول هو د يوحد بيدي ربع شافل قصه » .

ولم يحفل بنو سرائيل بالسوءات بعد صمويل كما حصلوا بسوءات أرميا
وحرقل . وكلها بيوات عن أخطار الحوادث التي تصيب قومهم
وتصيب غيرهم من الأقوام أصحاب لدول في وادي السل وبن
الهرس . وكان الإبياء بالغيب على هذا المثال هو المهمة الأولى من مهام
كبار الأنبياء . وربما تحدث عن الغيب أنبياء من غير هذه النطقة ليدكروا
مصائر أفراد معلومين إلى حجاب مصير الأمة كما قال النبي عاموس في
بيت إيل « أنت تقول لا تنأ عن سرائيل ولا تتكلم عن بيت
اسحاق ولذلك قال الرب إن مروتك تزي في المدينة وسيك
وساتك سقطون بالسيف وأصك تقسم باخيل . وأنت تقول في أرض
بجة : وإسرائيل يسى صيبا عن أرضه . . . »

نبوة الهداية

حسب أيام هذه لسوءات جميعا في بني إسرائيل قبل البعثة الإسلامية بحور تسعة قرون . لم تتغير حالها بصورة الناس عامة وبني إسرائيل خاصة إلى أسوة للديانة . ولم يفهموا سوءات الأولى وما لحق بهم على عهد نبي عهده فلم ظهرت أسوة الإسلامية لا تكن تكرار . تلك سوءات ولا تصور فيها من كانت « تنقية » من كل ما لصق بها من بقايا الكهنة والندوب ، وجاءت تعني أسوة كما يسعى أن تكون وملت عنها ما ليس سعى لها من شوائب الأوثان . وأولها أنها مرصدة للحدوث يحتمل لطريق أو مكتب لتأمين يقادرس انقوم على الأمان من الأخطار

ليس مهمة النبي أن يعلم الغيب « إنما الغيب لله »

وليس أصدق من مني يعلم لدن الصدق فعلمهم مرة بعد مرة أن الغيب من علم الله يكشفه عنه ما يشاء متى يشاء .

« يسألوك عن الساعة أياك مرسلنا قل إنما علمها عند ربى لا يحيط بها إلا هو »

« من لا أملك لنفسى نقما ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم بغير علم من الخير وما منى سوء إلا ما يبدى ويستر تقوم يومئذ »

« قل لا أقول لكم على حرائر الله ولا أعلم الغيب ولا أقول بكم ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى قل هل يسوء الأعمى والبصير فلا تتفكرون »

« وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو »

وآية الآيات مسألة « المعجزات » في الدعوة محمدية . فليست المعجزة ممثلة إذا رُدّها حتى الكون كله وحائق الوجود التي يحريه عليها . ولكن المعجزة لا تنفع من لا ينفعه عقده ولا تنفع السكاير اسفل إذا أصر على اللجاجة في باطنه :

« ونوفتحنا عليهم باباً من السماء فطولوا فيه يعرجون لقائنا سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » .

« ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما العيب لله فانتظروا بي معكم من المنتظرين » .

وقد كان الناس ينظرون في حوادث الملك فيحسبونها من الآيات فسبهم أن يحيطوا بين حوادث الملك وحوادث الحياة وحيات ، وكذلك كسفت الشمس عند موت إبراهيم ابنه عليه السلام فعاد الناس إليها كسفت لونه فلم يمهلهم أن يترسروا في ظلمهم وهو يحزون القواد على أحب أبنائه إليه بل أنكر عليهم ذلك الطل ورآها فرصة للتعميم ولم يرها فرصة للدعوة فقال « إني الشمس والقمر آتان من آيات الله لا تكسفاً لموت أحد . . »

وحللت السورة كلها لمهتها الكبرى وهي هد : الضمير الإنسان في تمام وعيه وإدراكه ، فانقطع مديها وبين كل صاعدة أو حيلة كان يستعان بها مديماً على التأثير في العقول من طريق الحسن المخدوع

فليس في السورة سحر ولا كهانة ولا هي شعر يزخرقه قائده . « إله لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما يؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون » .

ولابد للمؤرخ أن يربط عند كل وصف من أوصاف لأسياء الذين
كذب بهم أقوامهم ، لأنها جمعت كل ما قيل عن الأساء بين أولئك
الأقوام في تصور المتطاوله . فإد صبح أن حريره العرب لم تعرف لأسياء
كمن عذبهم مع إسرائيل وأن سوءات كانت وقد على بين إسرائيل ومنت
عربهم من الأمم . من أين عرفت أحواله الأسياء ومنتشرون إلى وصفهم
٥ المكذوبون وقد وردت جميعها في القرآن الكريم ٧

فهم من كان من النعمان ويرمونه مكذبه بالحب " في جمع
ذكرى وقد جاءهم رسول من ثم نبينا عنه وقالوا معهم حديث " .
ومنهم من كان يرمى بالسحر أو الخيول : وكذلك ما أتى النبي من
قلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ٥

ومهم من كانا ينحقوقه رموز لشعراء ويرمونه دسخت " ٥
كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون " إنا نأركو آلهتنا لشاعر
مجنون ٥

وإذا رموه بالسحر وحده قالوا به السحر الكاذب غير له من السحر
الذي كانوا يعترفون به فكيف معاندتهم " وعجزوا عن حياضه من
مهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ٥

فانتعس ولشعر والسحر والكهانة والعبوية كانت كلها سواس
واقعة موصوفة على ألسنة المكذبين من أقوام يرسل الأقدمين . ومن
وصفها مجرعا همد هو اللعب العجائب . ومن وصفها مطعنا فقد
استفصده وراد عليها مام نكي بها . وهو أسوء الخصبة لمداه
الصغير

إن المتشكين من الأقدمين لم يفصلوا النبوة بفصل حاسم وإن من
 المتشكين في بني إسرائيل لم يجمع بين الكهانة واستطلاع العيب بالأقنوع
 في المحراب . وعاش القوم بعد أنياهم بآرمة طراد وهم لا يدكرون هم
 رسالة أكبر من رسالة الإيدر بأحوادث ولأحطار فإدا كانت سوء لم
 نخلص لهما الكبرى قبل محمد عليه السلام فأين هي الكرامة التي تعلو
 على هذه الكرامة بين مراتب الأنبياء ؟

إن الرسالة المحمدية قد علمت ناس أن محمداً نبوة إلهية ثم تكفى
 نبوءة للهداية والإنذار والشارة : « أكان للناس عجباً أن أوحى إلى
 رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن هم قدم صدق عن
 ربهم . . . »

وهذه هي النبوة المحمدية

وهذه هي النتيجة التي لم تأت من مقدمتها . وهذه هي النتيجة
 التي لم تأت من جميع مقدماتها

وهذه هي آية العمل الإلهي بين أعمال الناس

سيد الأنبياء نشأة الأنبياء

إن وجهة الدعوة النبوية تنبئ من نشأة النبي التي أعده الله بها للقيام بتلك الدعوة ، فإذا عرف نشأة النبي بين قومه عرفنا رسالته فيهم وعمله في هدايتهم ، وعرف وجهة أسوة من وجهة النبي منذ هيأه الله حيث جعله أهلاً لرسالته

ولكن غرائب التاريخ في أمر الأنبياء كثيرة ، ومنها هذه الغريبة التي تكاد أن تشمل الأنبياء جميعين ، وهي الجهل التام بتفاصيل نشأتهم بين ذويهم وأقربائهم ، فلا يحصى التاريخ شيئاً من هذه التفاصيل عن نشأة نبي من كبار الأنبياء غير محمد عليه السلام ، وكل من عداء من جلة الأنبياء فالعلم بأنباء طفولتهم مستفاد من سيرته بعد النبوة أو مأخوذ مأخذ الاستقراء والاستنباط .

وعلى هذا يقص عدد لأنبياء الذين يحاول اختيارهم للمقابلة بين شأنهم ومعاصد دعوتهم ، ولاستطيع أن يرد على ثلاثة من كبارهم وهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وعن بعض الأنبياء المذكورين في العهد القديم في مناسبات ظهورهم ، وبعض هذه المناسبات يدل على النشأة التي نشأوا بها والوجهة التي اتجهوا إليها .

مما يكتن من بداءة الخليل إبراهيم فالأفهام متواترة على رعايته

قومه حين هاجرهم من جنوب العراق إلى شماله ومن شماله إلى أرض
كنعان

كانت مهمته بين مهمة الرعامة مفروضة على زعيم . وكان عليه
أن يتولى تدبيرهم في شئون ديارهم وشئون دينهم . وبخاصة حين يحشرون
بخطر عبيهم من غضب الله ويقصده بعاقلة من حرء المحقة والعصيان

ويسعى أن يذكر هنا أن لو عيّد بالعصب الإلهي كان حصرا محدودا
غريبا عن تعددوا جميع الأبواب في بدايات الألفية الأولى . وأن إيمان الناس
بالإله في العهد الألفي إنما كان على قواد إيمان الحماية لرب الذي يعدونه
دور سائر لأرباب . فهم يكن برعهم ففهم أن يعرر بقومته وهذه يعلم سبل
عالمه . وقد كان إبراهيم الحبل رعيه أسرته الذين هاجروا معه
فكان عليه أن يهديهم الطريق . وأن يهديهم كل طريق في صحرة الجسد
والروح .

وتتفق الأقوال على أن إبراهيم حالف أباد حين أنكر ربان القوم
ودعا قومهم إلى تكهرا بالأنصام . وليس في هذه ما يبي رعامته على
الذين هاجروا معه من أسرته ودون قومه وتابعيه . إنما كان الخلاف
على لإقامة والمصدقة وبعده دوى لسنن من المداة
فاستكس الشيخ للوقع وبصر الكهن القوي من هذه الاستكاسة وقد
رأى أن يورد القوم كاس بلع عية مدها في سالة إبراهيم حين
يمرون بعبادة إله أو قامة لصله مقدم لاله الذي في السماء . فلعل
لفظ في بين إبراهيم وأنه إنما كان على عبادة حديدته أقحمت على القوم

من هذا النقص . فحما المؤمن بأنفسهم وتعموا الحزن في طريقه . وأدى
 هم أمانة الزعامة بهذه الثبوت وهذه الرسالة
 وهذه الشرة مهمة زعيم أمين .

نبوة موسى

ويريد فرويد أن يجعل قيادة موسى عليه السلام من قبيل هذه
 لقيادة ، ولكنه يذهب بعيدا حين يزعم أن موسى كان من المصريين
 الذين دنا عقيدة « أتوم » وكثرو عقيدة أتوم . ثم نصب لكهنة
 على لوحديّة بني حواء في عقيدة أتوم تحول موسى إلى المستضعفين
 من يهود في أرض مصر لشرسهم هذه العقيدة في لالة الإله
 وأصاف إليهم « تلقاه من العجم الذين « أتوم » حين يحا نفسه إلى صحراء
 مساء والتقى في أرض مدين نسي الصحراء

ألف فرويد المشهور - وهو إسرائيلي - كتابا خاصا عن موسى
 والوحدانية *Moses and Monotheism* حاول فيه جهده أن
 يرجع نأصل موسى عليه لسلام إلى لأسره المصرية المديكة . ولأن
 سمه نفسه يدل على أصله مصري لأنه مؤلف من كلمة « من » ومن « الإحقة
 التي تشبه اللاحق في أسماء رعموسيس ونختموسيس وأفوسيس ،
 وقصة في الماء على . أي فرويد تقديده في الجدلية قصة سرحول است
 الذي وصعته أمه على حافة الهر وحمت له مهدا عاتما من السلال

وقد توهم فرويد في تخمينه فقال إن أدرياي التي أطلقها العربة - على
 لاله إنما هي أتوم أو أتوم المصرية - وأن موسى عليه السلام وفق بين

عبادتين ليقع بين إسرائيل مدعوة أخضاتور ، وإلى هذا يرجع
الاضطراب في النصوص العبرية القديمة .

وليس طريقة فرويد في تحميل التاريخ إلا أسلوباً آخر من طريفته في
كشف العقدة النفسية بالتحميم والتأويل تفسيراً لروايت المريض ، وقد
يكون تفسير هذه الروايت قرينة على صحة لرحم بالعيب في متكشاف
الأمراض اساطمية ولكن تحمساته في سيرة موسى عليه السلام لا تعتمد على
قرينة ولا على طن مقبول ، وليس لها سد من لآثار المصرية أو من الآثار
العبرية ، وفي وسع من يشاء أن يخمس مثله على هذا الموال ربأني
بعشرين فرضاً متصارباً من فروض الخيال .

أما سيرة موسى عليه السلام من تراجع انديية فليس فيها ما يبدن
على رعاة معترف بها بين بني إسرائيل ، بل فيها إنكار هذه الرعاة
بانقول الصريح لأنه أراد أن يحكم بين خصمين من العبرانيين فقام به
أحدهما . « من جعلك رئيس وقاضياً علينا ؟ أأنتك تريد قتلى كذا قتل
المصري بالأمس ؟ » .

ويرجع برستيد أحد الثقات في التاريخ المصري لقديم أن
موسى قد خرج من المدارس المصرية لكبرى وأطبع على مكروبات علم
الكهنة والحكام ، وكانت له منزلة فاصلة عند ولادة الأمر لعله كان
يستخدمها في الشفاعة لقومه والعلم ببيات الولاية وأوامرهم فيما يخص
شؤونهم ، فتعود عقلاؤهم أن يسجأوا إليه ويوسطوه يستشفعوا به فيما
يوجبهم من الظلم وسوء الحال ، وأصبح له حق الشورى عليهم كلما ارتبط
لأمر بمشينة الدولة ومطالب بني إسرائيل .

وعنى خلاف الصورة التي تخيلها « ميكائيل أنجلو » للرسول العظيم
 يؤخذ من أوصافه أنه كان وديعا « حليبا جدا أكثر من جميع لباس الدين
 على وجه الأرض » كما جاء في كتاب العدد من العهد القديم ، وأنه
 كان بشكو حسنة في لسانه فهو يقول عن نفسه كما جاء في سفر الخروج
 « لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين
 كنت عندك . بل أنا ثقل العم والسن . قال له الرب من صم
 بل إنسان في ؟ أما أنا هو الرب قالآل فذهب وأن أكون مع فلك
 وأعلمك ما تكلم به . . . »

وم يحظر له مادي الرأي أن يقود قومه في خروجهم من مصر . ولم
 يكن على أهبة لرسالة الدينية قبل هجرته إلى صحراء سيناء وفاته في
 أرض مدين لنسي العربي الذي يرحح الأكتروث أنه هو نسي الله
 شعيب ولكنه على مختلف الروايات قد تعلم من ذلك النبي علوما
 شتى في شئون التبليغ والقيادة ، وم يزول يتعلم منه كما جاء في كتب العهد
 القديم بعد عودته إلى مصر وخروجه منها مع قومه . وكان يثوب إليه كما
 ساورته المخاوف وأوشك أن ييأس من هداية القوم أو يصيق درعا بـ
 يسومونه من شهوات الطعام وللد الخصومة والمماصة بين لعشائر على
 صعائر الأمور

فالسنوات التي قضاها إلى جوار نبي مدين كانت هي فترة الاستعداد
 وارباضة الروحية والتدبر الطويل فيما يمكن عمله لإخراج بني إسرائيل من
 مصر وإحلالهم حيث حل على مقربة من سيناء وكنعان . ولابد أنه قد
 حس خلال تلك الصحراء ووطئ قدميه أماكن لرحلة التي لابد منها
 قبل المقام على استقرار في ذلك الحجاز

ولاشك أنه كان يصعب أن يسي مدين قنبا بسطه له من أمر عقيدته
وعادته . وأنه حكى له ما عرفه من عقائد المصرية وعبادات الممالك
والكهان . ووزن طويلا بين هذه العبادات وعبادة لبادية كما تنقها من
أساذه المديى ومن هداية الوحى والإهام .

فلما عاد إلى مصر ليخرج بقومه مها كان هذا الخروج حلة من
لا حيلة له فى لقاء ، ودعاهم إليه باسم الله فأطاعوه بعد لأى
وعاهده ، ولم يظهر من سلوكهم معه شىء حقا إلى الخروج من مصر
بطوعية بغير دعوة ملحة وإذناع عسير

ولا يفهم من حادث واحد من حوادث الرحلة أن لقوم كانوا يؤثرون
لقرار حرصا على عفة دنية ، فإسهم أسفوا على مانعوه من المراسم
الدينية فى مصر وودوا أن يسهم يعوذون إليها أو يعدونها مسوغة
ممسوحة فى الصحراء ، وخطرهم أن لإله الذى دعاهم موسى إليه إعا
عرهم ليهلكهم ويعنى على أثارهم ، واحتاجوا فى كل خطوة إلى توكيد
لوعده بالأمان ورعد بعث أعوام التيه والانتظار

فهمة الرسالة المرسوة هذه العوارض الطبيعية لاتفهم إلا على خطوة
واحدة ترسم أمامنا كما كانت لأنها هكذا ينبغي أن تكون

هجر موسى مصر بعد مقتل المصرى وتهديد بى إسرائيل . قبل
غيرهم بالإبلاع عنه . فصلا عما يحشاه من ملاحقة ولالة الأمور

ولم يحظر له قبل تلك الهجرة أن يقم قومه بالرحيل من الديار
المصرية . فلما اختبر الصحراء وسمع ما سمع من هداية نسي مدين ولمح
بعينه مطارح الرحلة والقرار بين مدين وسهوب سيناء وكعاد ، وطاب

له مقام السادية فلم يستعظم لمنشقة في دعوة قومه إلى مثل هذا المقام .
تدبر الأمر وصحح حرم على التحول بالقوم من مصر إلى أرض كنعان .
وصرف الجهد لدى لا جهد بعده في قناعهم باسم لإله الذي اختارهم
للنصرة . ولم يرل يحذر عليهم ترك هذا لإله عند أسر دعوة وبغير إعر .
على الترك في أكثر الأحيان

وهذه أمثلة من تحذيراته تدل على الجهد الجهد في تحوّل قومه من
العبادة التي كانوا عليها إلى العبادة التي دعاهم إليها

من هذه التحذيرات في سفر التثنية يقول هم : « لا تسأ عن الهتهم
قائلا كيف عبد هؤلاء الأمم آلهتهم فأنا أيضا فعل هكذا لا تعمل هكذا .
لرب هلك لأهم قد عملوا لألهتهم كل رحس مما يكرهه الرب »

وحذرهم من الأنبياء : « فإذ قام في وسطك نبي أو حامي حلما
وأعطاك آية أو معجزة ولو حدثت الآية أو المعجزة التي كلمت بها
قائلا لنذهب ورء آهة أخرى لم تعرفها وتعهده فلا تسمع لكلام ذلك
النبي »

وحذرهم من الأخ والاس والروح وصاحب : « يعويهم قائلا
« يذهب ويعد آهة أخرى فلا ترص منه ولا تسمع له ولا تشفق
عسك عليه بل قتلا تفله »

وحذرهم من المدن التي يدخلونها : « مدعوهم الدثام إلى عبادة
أربابها . « فضربا تصرب سكان تلك المدينة بخد اسف وتخربها بكل
مافيها مع سائمها بخد السف »

وإذا سمع عن أحد من إسرائيل : « أنه يذهب ويعد آهة أخرى

وسجدوا أو للشمس والقمر أو لكل من حد السماء . فأخرج ذلك
أو تلك المرأة . . . وارجمه بالحجارة حتى يموت »

• • •

ولا تتعبر هذه الحقيقة بما يقال - تأييدا أو تصيدا - لسنة الكتب
الخمس الأولى من العهد القديم إلى موسى عليه السلام أو سنة بعضها
إليه وبعضها إلى الأنبياء من تلاميذه وتابعيه . فإن أنبياء بني إسرائيل
جميعا من عهد موسى إلى معث عيسى عليه السلام لم تكن لهم من
مهمة غير هذه المهمة ، وهي تحذير بني إسرائيل من عادة إله غير الإله
الذى دعاهم إليه صاحب شعيرة وتسكينهم كلها نحوها عن طريقه
واستبدلوا ثلثه مئة أرباب آخرين ، وهؤلاء إلياس وأرميا وحزقيال من
أشد النعاة على بني إسرائيل في هذا الأمر لم يتحرد أحدهم لرسالة غير
هذه الرسالة . ولم يكن عم إلياس إلا أن يحذرهم عاقبة « إغاطة الرب »
إذ كان عمرى قد ملث على إسرائيل . وعمل الشرف عيني الرب
وبعت سيناته أضعاف مئتين من قبله وسار في جميع طرق يرمعام من
نصف وى خطيته نبي جعل بها إسرائيل يخطئ لإغاطة الرب
بأبائهم . ومنك آحاب من عمرى فأتخذ ابنة ملك الصيدويين
روحة وسار وعبد العجل وسجد له وأقام مذبح له في بيت العجل الذى
بناه في السامرة .

ولم تكن رسالة أرميا إلا كهذه الرسالة حيث أئذهم في بعض مرائيه
قذلا . . . إنكم تسخرون لسعل وتسبرون وراء آلهة أخرى لم
تعرفوها . الأبناء يلتقطون حطبهم ولآباء يوقدون النار والنساء يعجن

العجيب ليصنع كعكا للملكة السموات ولسك اسكائب لآلهة أخرى
كى يعطولى « ويمضى السى منذرا متوعدا باعيا على عشاثرهم
جميع « أنهم أبو أب يسموا كلامى ودهبوا وراء آهة أخرى يعبدها
ونقص ييب هودا ويب إسرائيل عهدى الذى قطعته مع آمانهم »

ومثل هذا ابوعبد يسمع من كتاب حرقيل حيث يقول لشيوخ
إسرائيل « بى آخذ بيت إسرائيل قلوبهم لأهم كلهم قد ارتدوا عى
بأصنامهم . . . وب كل إسان من بيت إسرائيل أو من الغرباء
المتعربين فى إسرائيل يرتد عى ويصعد أصنامه بى قلبه . . . ويحىء إلى
اسى ليسأله عنى فإلى أنا الرب أخيه بنفسى وأجعل وحيى ضد ذلك
الإسان وأحده آية ومثلا وأستأصله من وسط شعبى هودا صل
النبي ونكلم كلاما فإنا الرب قد أصاب ذلك السى وسأمد يدي عيه
وأبيده من وسط شعبى إسرائيل . . . »

فشعب بنى إسرائيل لم يستع قط عن الإقناع المتتابع للإيمان بالآله
الواحد الذى دعاهم إليه موسى عليه السلام ، ولم يتحرك من مصر هودا
بعقيدته بل كانت هذه العقيدة هى وسيلة الإقناع لعمله عى السحاة
نفسه من عواقب لقاء حيث طاب له اللقاء . ولم يرب فى الطريق يحتاج
بى تحديد هذا الإقناع فى كل مرحلة ويحب إلى العودة بعد كل بقلة ،
وطل كذلك بعد نهاء أيام التيه وإيوائه إلى القرار عند أرض كنعان .

وشأه موسى النبى عرفناها من مصدرها الذى لا مصدر لما عبره هى
النبى تطابق بين هذه المشاة وبين لرسالة لموسوية كما وصحت من الكتب
المشوبة إلى موسى والكتب التى نسبت إلى الأنبياء من بعده . فخلاصة

هذه السَّأءَةُ أَنَّ كَلِيمَ اللَّهِ تَرَبَّى فِي مِصْرَ وَحَرَّجَ مِنْهَا حَفِيَّةً بَعْدَ مَقْتَلِ
 الْمِصْرِيِّ الَّذِي صَرَعَهُ مُوسَى ائْتِصَارًا لِرَحْلِ بْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَمْ يَكُنْ
 حَاطِرَ الْخُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَدَخَلَ لَهُ أَوْ لِأَحَدٍ مِنْ دَوَى الرِّعَامَةِ بَيْنَ
 عَشَائِرِ قَوْمِهِ . وَلَكِنَّهُ عَاشَ فِي الْبَرِيَّةِ إِلَى حِوَارِ الْمَدِيَّةِ السُّوْيَةِ فِي أَرْضِ
 مَدْيَنَ . وَرَاضٍ نَفْسَهُ عَلَى حَيَاةٍ لِنَسْكَ وَالْاِسْتِلْهَامِ وَهُوَ يَهْكُرُ فِي أَسْرَتِهِ
 وَقَوْمِهِ وَيُرَوِّرُ لِأَرْضِ مِصْرَ . وَتَلْقَى الدَّعْوَةَ الْإِلَهِيَّةَ بَعْدَ صَوْنِ ائْتِدَارِ
 وَالرِّبَاصَةِ فَعَادَ إِلَى مِصْرَ لِإِقْنَاعِ قَوْمِهِ بِدَعْوَتِهِ وَإِقْنَاعِ السَّادَةِ الْحَاكِمِينَ .
 أَنْ تَيْسِرَ لَهُ ذَلِكَ دَعْمًا لِمُحْطَرِّعِ عَنْ مَدَنِهِ وَعَقِيدَتِهِ . وَلَمْ يَكُنْ يَرْضِيهِ فِي يَدِ
 مِنْ طَوَالِعِ لُسْبَرَةٍ وَخَوَاتِيمِهَا أَنْ يَتَّقَى شَعْبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَيْثُ اسْتِطَابَ
 الْبَقَاءَ . لِأَنَّهُمْ رَأَوْا لَحْمَ مِصْرِيٍّ فِي لُبَادِيَةِ أَكْرَمَ مِنْ هَذِهِ الْمِصْرِيِّ وَرَأَوْا أَنَّ
 ائْتِقِيدَهُ لَتَى دَعَائِمِهِمْ إِيَّيْهَا كَهَيْئَةِ نَحْمَاتِهِمْ مِنْ ائْتِصِيَاغِ بَيْنَ الْعَشَائِرِ وَالْمَلِكِ فِي
 صِوَرِ الْبَادِيَةِ أَوْ أَرْضِ ائْتِخْصَارِهِ .

وَهَذَا هُوَ حَكْمُ ائْتِوْفِيقِ بَيْنِ ائْتِشَاءِ وَارِسَالَةِ فِي حَيَاةِ ائْتِكْبَرِ عَلَيْهِ

سَلَامٌ

وَقَدْ عَرِضَتْ لِي فِي حُلَالِ هَذِهِ ائْتِسْرَةِ قِصَّةِ مَدْيَنَ وَدَعَائِمِهَا لُسْبَرَةٍ
 الَّتِي أَشَارْتُ إِلَيْهَا كَتَبْتُ إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِهَا وَلَمْ تَذَكَّرْ شَيْءٌ مِنْ ائْتِتَفَصِيلِ فِي
 عِبَرِ الْقُرْآنِ ائْتِكْرَمَ . وَبَكَا حَامِدُ ائْتِشَاءِ وَارِسَالَةِ مُوَافَقِينَ دَلَّتْ
 تَوَفَّقِي لَدُنِّي يَعْنِي عَنْ كُلِّ دَلِيلٍ عَلَى صِحَّةِ الْأَصْلِ الْأَصِيلِ

قَبْلَ عَنِ مَدَى الْقَوَافِلِ فِي كِتَابِ عَنِ أَبِي الْأَنْبِيَاءِ بِرَحْمَتِ ائْتِخْلِيلِ .
 « مَا لِأَسْبَابِ ائْتِسْبِيئَةِ لَتَى أَوْحَتْ قِيَامَ ائْتِدْعَوَاتِ السُّوْيَةِ فِي تِلْكَ ائْتِذَلِّ
 هِيَ أَسْبَابُ كَثِيرَةٍ لَمْ تَكُنْ تَوْحِيدَ بِرَمْدٍ فِي عِبَرِهَا هَذِهِ ائْتِقْوَدُ وَهَذِهِ
 ائْتِكْثَرُ . وَقَوَى تِلْكَ لِأَسْبَابِ مَسَاوِيٍّ ائْتِاِئْتِكَارِ وَاِئْتِئْتِغْلَالِ . فَإِنَّ

حارة العالم إذا توفقت على مدينة هنا ومدينة هناك ، سددت في كل مدينة
 من فئة غلبة من اساده وصحابة يسار يحكرون بضاعة ولحق
 ، برعون في سايك معاكسة ويرفع أسعار وريادة صرائب والأحوج
 على الرحال والمطايح وحيد الحرمة وعتم هؤلاء محتكرون فرصهم
 فحدهدون النصفه ويحتالون على الأصغر والشرع ، حديون بالخير
 وشباب من الوارد والصادق والمعادى و ربح ولا حيله لنجح فيهم ولا
 معنى لنجاح لأهم فاصبر على - ماء وليس في مودة دولة ك حارجه
 ، لا شئت في حرب مع دولة أخرى أو يلقى السوء في الحروب وخصم
 ، على الأمم التي يحصها محكرون أو يحمسها ولد بعد هؤلاء
 محتكرون في شنيع وتحكم حتى ينفذ الدول من محاربة بالعداء مرة
 رخيها من مراث

أكدت صبح أتيجون خليفة الإسكندر مع أنهم مدد مدد في
 مدد وهي صبح أن الباء فحرد عنها حملت ولم يفتح في عروها
 وماحمها تراخان بقوة كبيرة فدمرها وحول الطريق بها إلى مصر - وم
 متى من حولها غير مدد صبحار »

ن الله مايس هي مدد مدد على مدارجة العرق وأن حصها في غرق
 نكريم حتى قصة اتحاد محتكرو واعبث بالكيل والميرا وحسن الأسعار
 والبرص بكل مبيع من صاحب العريق - ويس أدن على حدودها من
 سوفي بن شاة ولرسالة كي حداث في موصع علفة من الحار
 ولجداها صورة الأعراف

وبن مايس حاشه شعبا في الله اعبدوه الله مالكم من الله -

فدعاءتكم بية من ربكم فأوفوا الكيل وخير ولا تبخسوا الناس
شيءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها دلكم خير لكم إن كنتم
مؤمنين ولا تفعدوا بكل صراط نهعدون ونصدون عن سبيل الله من
من به وبعوها عرجاً واذكروا دكنم قبلاً فكثركم وانظروا كيف كان
عاقبة المفسدين ورب كان طئفة منكم آمنوا بآيتي أرسلت به وطائفة لم
يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . قال ملائكة الذين
استكبروا من قومهم لخروجك يا شعيب ولدين آمنوا معك من قريتنا أو
لتعودن في ملتنا قال أوله كنا كارهين قد فرمنا على الله كذباً إن عدنا في
ملككم بعد إذ عايناه الله وما يكون . لنا أن نعود فيها إلا شاء الله ربنا
وسمع ربنا كل شيء عما على الله نوبكنا ربنا فتح بيننا وبين قومنا بالحق
وأنت خير مهتدين . وقد الملائكة الذين كفروا من قومهم لئن أسمع شعيب
إيكم إذا لحاسرون فأخذتهم الرحمة فأصبحوا في دارهم جاثقين الذين
كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الحاسرين
فترى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف
أبى على قوم كافرين .

مرساة شعيب عليه السلام إنما كانت رسالة خلاص من شرور لا حنكار
والخداع في البهثة التي تعرضت به بحكم يوفقه من طريق التجاره
واسرق مسادة بين الأمم . والأعجب على لتقدير أن حريرة العرب
تعرضت بصروب من هذه الآفات وحاءها برسالات نبي تصلحها في
دال لحاجة بيها . ومنها رسالات هود وصالح وذي الكفل وحواسمهم
من الرسل صالحين الذين لم تفصل عن علما أخبارهم في كتاب

عيسى عليه السلام

وقد احتتم عهد النبوة والرسل في بني إسرائيل بصهرو عيسى عليه السلام . ولا نعرف عن نشأته في صمدته غير القليل ولا نعرف شيئاً عن أيامه من الثابتة عسره في ثلاثين معته في قومه من بني إسرائيل . ولكن نشأه العصر كله من وجه الاستعداد لسرد معروفة بعض لتفصيل كما أشرنا إلى ذلك في كتاب عمقيرة المسيح

في عصر ميلاد « ترفب الميوس سائر المدعوة الإلهية من كل جانب كم يهف الرصدون كه كماً جانب موعده طوبوعه » وكان معدد لألف الرابعة من تاريخ الخلقه موعده مقدورا في عرف الأكتيين مطهور المخلص الموعود

وكان اليهود في عصر ميلاد هريقين عربت ترفب الخلاص عن يد رسول من ذرية داود عليه السلام . وقرين آخر وهم السامريون بنوهم هيكلا حصا في حرريم « ومن لمحق أن هؤلاء سامريين كان هم سأل في تطور لفكرة مسيحية وفكرة خلاص المتظر على يد رسول المعدد وهم يتسبون في يعقوب ويدعون أنهم ذري عيرهم الحاريون باسم لإسرائيليين »

وقد تكاثر السديرون قبل مولد السيد المسيح وهم السديرون لصحة المخلص المتظر . لأن مولده عليه السلام « وافق بهامة الألف الرابعة من بدء الخلقه على حساب لتقوم لعبري » وهو الموعد الذي كان متصرا لعنة المسيح الموعود . لأنها كما يتصوره على رأس كل ألف سنة ومهم من كان يقول إن اليوم لإفنى كان ألف سنة كما جاء في المزمير

ون عصر الدنيا سماع الحى ، تنقصى سه شه منه فى عشاء واشقاء وياتى
 فيه السبع بعد ذلك كى شى هم يست لمرجه واسكينة . فلدوم ألف
 سة كمسة هى شه حر وسنة فى هاء العاء . ولا يزال العريون
 يعرفوها باسم الألفية Mellinium ويطبقوها على كل عصر موعود
 بالسعادة والسلام . والذين فلدروا أن القيمة تقوم بعد سبعة آلاف سنة
 من بدء خلقه كانوا يؤجلون قيام ملكوت بسماء على الأرض إلى نهاية
 الألف السادسة وبمئذ تسود دولة المسيح الموعود ، لكنهم كانوا
 كغيرهم فى انتظار رسوب من عند الله كلى نبت ألف سنة من بدء
 الحسنة . كانت بدءة الألف الخامسة موعدا مطور أو مدورا يكثر فيه
 المديرون ، لعلهم يحسون من جهد الخلاص أو لعل واحدا منهم يسعده
 القدر فيكتب الخلاص على يديه ، ولهم فى مر المديرين بالنسبة إلى
 نسل المسيح أن الذى يحى المعنسل يوحنا انعمدان كان علما من
 أعلامهم المعدودين . وكان نسل المسيح يعتمد على يديه أو بأحد العهد
 عليه . وأن بعض مؤرخين بحس السيد المسيح من المديرين وينتسب
 عليه الأمرين المديرى ونصارى وهما فى النقط العبرى متقاربان ، ومن
 هؤلاء مؤرخين من يزعم أنه لم يكن من الناصرة بل يزعم أن الناصرة لم
 يكن ه وجود لأها لم تذكر قط فى كتب العهد القديم ، ولكن
 الأرحح فى اعتقاد أن الناصرة نفسها كانت تسمى نذيرة بمعنى الطبيعة
 عندما كانت على تقوم الأرض التى فتحها العريون مديرا . وأنها كانت
 مرقا صديقا للاستطلاع لأن التلوى التى تحيط بها تكشف جبل اشيع
 والكرمل والموج المعروف باسم مرج ابن عمير . . .

ولاشك أن السيد المسيح قد اتجه بدعوته إلى إسرائيل وتبعى منها

خدابة « لحراف بت إسرائيل الصالة » ولكنه عزم لدعوة بعد تكررهم
 على القوم ولخاحتهم في الإعراض عنها ، فوجهها إلى كل مستمع لها مقل
 عليها . قال لهم إن أعامد بالخير درية لأبرهم حبل أقرب وأوفى ممن
 بدعون السنة إليه بالسالة . لأهم هم نأؤه بالروح . وصر بهم المثل
 بومة العرس التي ، يحصرها مدعون إليها « فعصب السيد وقال
 بعده اذهب عجلًا إلى طرقات المدينة وأرقبها وهات إلى من تراه من
 لمساكين . فعاد العد وقال لسيدة - قد فعلت كما أمرت ولا يرب في
 لرحمة مكان قال السيد فادع غيرهم من أعطاف الطريق وروياه حتى
 يمتلئ بيته ، فلن يذرق عشاء أحد من أولئك الذين دعوت فلم
 يستجيبوا الدعاء »

ولم تكن رسالة سيد المسيح رسالة تشريع . لأن الشريعة الدينية
 كانت في أيدي أحبار الهيكل والشريعة السيوية كانت في أيدي أتباع
 فصار ، ولكنه عليه السلام قد جاء بالفتح المبين الذي لم يسبقه إليه سابق
 من الرسل في تصحيح الشرائع محلها ، فقد تحطمت بها قيود النصوص
 ونقبت إلى مقياسها الصحيح وهو مقياس الصميم . ومن تحطمت النصوص
 أن يكون بناء النبي هم أتباعه ، روح وإن لم يكونوا من دريته ناجد .
 ومن تحطمت النصوص كذلك أن يكون الخير في ضمير الإنسان لا في مطهر
 من مظاهر العالم فإن ملئت ضميره فقد ملئت كل شيء . وإن صبح
 ضميره لم يضر عنه العالم بما وسع من أناس وحطام

رسالة النور الجديد

وبما تقدم تنجلي انطابقة بين النشأة والرسالة السوية عن مقاصد ثلاثة
 تطوى في هذه الرسائل

فهي الرسالة التي تنصوي في تكاليف الرعاية ، فتأتي الدعوة الإلهية
لتكثير زعم القوم من هدايتهم الروحية لأنه مطالب بقيادتهم في جميع
شئون

ومها الرسالة التي تقوم على منفعة أمة من الأمم لحرسها في وجه الأمم
الأخرى . وإثابة على تذكيرها بحاجتها إلى تلك الحراسة

ومها الرسالة التي يسطرها لقوم تحقيقا لوعود معاقبة يعسرها كل
منهم بما يشيخه

ثم قامت بعد هذه الرسائل جميعا رسالة محمد عليه السلام . فهم
يستعرفها مقصد من هذه المقاصد . إذ لم تكن تكاليف رعاية ولا رسالة
مقصورة على منفعة أمة ولا تحقيقا لوعود متعطرة يعسرها كل واحد
بشيء

رسالة محمد عليه السلام رسالة إلهية قوامها أن الله حق وهدى . وأن
الإيمان به جل وعلا مطلوب لأنه حق وهدى . هذا الإيمان أعلى
وقدس من كل إيمان لأنه إيمان بالحق والهدى

لم تكن رعاية محمد على قومه مناد تلك الرسالة . لأنه جاء بها بشرا
كسائر البشر عليه من أمانة الهداية ما على الإنسان للإنسان رعيها كان أو
غير رعيها

وم تكن سمعة الأمة العربية مناط تلك الرسالة ، لأنها إيمان برب
العالمين . ولا فصل فيها لعربي على أعجمي ولا لقرشي على حشوي إلا
بالتقوى

ولم تكن مفاصلة لوعود . لأن الإسلام لم يعد أحدا من العالمين بعد
ما وعد به الناس كافة في جميع البقاع ولأرضين

نزاهة العبادة

تعود بعد لحسابي بناء الهدر من مؤرخين الغربيين و يتكلمون عن
راحة العباد و يذكرون النعم السماوي كما وصفه الإسلام بين الشقائق
التي تقدم في العبادة التزيه

وما من دين من الأديان حلا من مدد الثوب والعقاب ، وما من
أمة من الأمم في عصر الدعوة الإسلامية كانت صور نعم السماوي
عندها مقتصرة على صورة واحدة يؤمن بها ولا تؤمن بغيرها

فمن الإيمان بالثوب والعقاب محلا بنزاهة الدين . وما من دين
يستحق أن يسمى دينا يسوي بين الصالحين والمفسدين أو يحجر على
المفوس أن تطمح إلى النعم الذي ترتضيه

أما الميراث الحق للعبادة التزيه هو الصفة التي ينصف بها الله عبود
ومن أحلها يتعبد له المؤمنون

وأمره العبادات - ولا ريب - هي العبادة التي يدين بها المؤمن لله
حل وعلا لأنه حق وهدى . ولأن الإيمان به هو الصدق والصواب
هذه العبادة أمره من العبادة التي تنحى بها الأمة إلى الله لأنه يقوم
مقام المدارس في وجه الأمم إلى نحتها ، وهي أمره من العبادة التي تقوم
على تقاضي الوعود و العبادة التي تقوم على تعق المرءوس بتكاليف
الرئاسة ولزعامة أمانة إسمان يدعوها أحواله في الإنسانية ، ويرفع
مكاتبها فوق مكان أنها نشأت في حرية العرب حيث لا عربة أن تكون
الرسالة أمانة زعامة أو تكون حراسة أمة ذات عصبية أو تكون على

الإحسان منعمة محدودده في وجه العام كي حد اصبحر ، ما حوذا من القناع
والأرصين

سيد لمصين نحق من حاء بالرسالة منزهة المثل ، وهذه هي رسالة
محمد شهادة العقل حين يقابل بين القرئ والأمثال ، قل شهادة
اشدين دينة أو المتعصب لعصته والنقلد ما يحديه التقيد عليه

الوساطة

يقوم للإسلام على خمس فرائض هي شهادتان . واصلاة .
ولصيام . والزكاة . والحج إلى بيت الله

ولا تتوقف فريضة من هذه الفرائض الخمس على وساطة بين الخلق
والمخلوق ، صحيحاً وحاد المسلم بين وسعه أن يؤدي صلاته « إنما تكونوا
ثم وجه الله »

وإذا وحت صلاة جماعة فكل مسلم بحس الصلاة جوز له أن يؤم
المصلين حيث اجتمعوا . ولا بشرط اجتماعهم في مسجد معلوم

ويحتاج المسلمون إلى الحاكم لتوقيت شهر لصيام . ولكم يحتاجون
إليه لأن وسائل الرصد والتعميم تيسر به حيث لا تيسر لكل فرد من
أفرادهم . شأنه فيما عد ذلك كشأن جميع المسلمين

وإذا حج مسلم إلى بيت الله فليس في بيت الله كاهن يقدم له قربانه
أو يمل عليه شعائره . وإنما يقرب نفسه ويقوم بشعائره لنفسه . فإن
جهل حكماً من أحكام الحج فلا يما يسأل عنه مؤان التعلم للمعتم ولا
حتاج في قبوله إلى وساطة من وسيط

ويصح للمسلم أن يؤدي ركاته كما يصح له أن يسبحها بولي الأمر
بجمعها ويصرفها على مستحقيها . ولا عمل له بها يسم به الفريضة
بعد أدائها

هذه الفرائض التي تترهت عن وساطة بين الإنسان وربه قد تفهم
على أنها مصادقات مكررة على صعوبة التكرار وتنوع بين هذه
المصادقات ، لولا أنها متممة مستوفاة بعقيدة التثنية التي ارتفعت إلى
عابها في الإسلام ولإله في العقيدة الإسلامية منزه عن المشبهة والمقاربة
وللمر والخطاكة ، وليس كمثلته شيء ، ولا وسيلة للإنسان في رؤيته من
حيث الأبراء الآخرين

ومن الصير على بعض المشتمين بالمقارنة بين الأديان من الغربيين أن
يدسوا للإسلام هذا التقدم الكبير في تزيه العقيدة وتزيه الفكرة
الإلهية ، وأيسر من ذلك عليهم أن يحسوه ضرورة من ضرورات
لشأ في الصحراء ، حيث يعود لحس التحريد ولا يمر إلى لفحامة
بروعة الساء

وكي لعقيدة الدية شأت في صحراء العرب وفي غيرها من
الصحارى قبل الإسلام . ولم تنشأ في إحدى هذه الصحارى عمدة من
شوائب الوثنية والطوطمية وضرورت الكهانات ولإسطافات بين الإنسان
وطبقت من لأرباب دون مقام الإله لوحد منزه عن لأشياء
والطراء ، وكانت لكعة في مكة ملأى بالأصنام والأوثان يتحدونها كما
يقولون لتقربهم إلى الله دلي ولا يحسبون أنها تناقص طسعتهم
الصحراوية في التدين والعبادة

وما فات أصحاب المقاربات أن يذكروه في هذا الصدد أن الأمم
التي تدب لسلطان الهاكل وتقدر على تفحيم البناء إنما كانت تثوب إلى
هيككل واحد تتبعه سائر أفي كل ويستأثر كاهنه الأعلى بالوساطة بين اتباعه
وبين الله وبصلى من قدسته ما يشاء على ما يشاء ، فإذا وحد في
الصحراء هيككل متفق عليه بين القبائل فهو أخرى أن يمتار بالتعصم
والتقديس وأن تحيطه الدرة برعاية خاصة لا تظهرها المعاند حيب يكثر
البناء

. . .

وأولى من ذلك بالنتية أن الإسلام يحارب سيطرة توحيد الهياكل
وتوحيد صوامع الصحراء وحياها وفي اتوايت التي يحمل من مكان
إلى مكان كتابوت بني إسرائيل ، لأنها سيطرة لكهان وارهنا التي
تسط الناس على رقاب الناس باسم الدين « بأما الدين آمنوا إن
كثيرا من الأحرار وارهيا لياكلون أموال الناس بالاصل ويصدون عن
سبيل الله » . . . وكل مسلم مهى بحكم ديه أن يقنى آثار الأمم الدين
حكوا فيهم رؤساء ديههم و « اتخذوا أحرارهم وارهياهم أربابا من دون
الله »

فليس لرئيس الدين في الإسلام من قضية غير فصيلة العم والمروعة
احسة وتسبه العاقلين من دوى السلطان « وما كان لمؤمنون ينعروا
كافة هؤلاء من كل فرقة منهم طائفة يتفقوا في الدين وليبدوا قومهم
إذا رجعوا إليهم يعلمهم يحذرون » وذلك هي العريضة العامة التي يدب ها

من يفتخر عنيها من ورثة الأنبياء ، وهم « أمة يدعون إلى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »

• • •

هدى موقف للإنسان في الكون كله بين يدي الله بغير وساطة ولا
فاصل ولا حجاب ، تقدم به لإسلام ولم تمهده له الدابة ولا المدينة ،
ولكنه نتيجة من تلك النتائج الإلهية الكثيرة التي تقصر عنها السوانق
والمقدمات

دين الإنسانية

قلنا في صدر هذه الرسالة إننا نتبع فيها المقدمات ونقسمها إلى قسمين مقدمات كافية لتفسير لوائح التي تأتي بعدها ، ومقدمات غير كافية لتفسير جميع النتائج التي تلحق بها . وقد تبدو هذه النتائج كأنها مفصصة عن تلك المقدمات أو مستعينة عن تفسيرها

ونحن نرى في فصول هذه الرسالة تعاونا بين المقدمات في كفايتها . ولكنه لم يلمح قط مبلغ التفاوت في مقدمات دين الإنسانية ولا في مقدمات السرة كما سطاه في موضعها فلو أن جميع الأديان التي عرفها الناس قبل الدعوة المحمدية وضعت أمام المحدثين يومئذ ما استطاعوا أن يستخلصوا منها ظهور دعوة نبوية تخاطب أمم الإنسانية جميعا من جزيرة العرب على الخصوص

ومن الواضح أن الفرق بين دين التوحيد ودين الإنسانية في هذه الخصلة ، فقد وجدت أديان تدعو الأمم إلى توحيد قبل دعوة الإسلام ، ولكنها لم تكن تدعوهم لأنها تسوى بينهم وترى لهم حقا واحدا في عبادتهم ، بل كانت تدعوهم إلى عبادة ملك واحد في اسماء وملك واحد في لأرض . كأنها مسألة سيادة لأمسألة مساواة

وقد جاءت الدعوة إلى التوحيد قبل الإسلام من طريق توحيد الدولة وقرص السطان لوحد والعبادة الواحدة حيث تسط سلطان . إذ كانت القبيلة القوية تتعلم على المثال الصغار فتقرص على عبادة ربها وطاعة رئيسها ، ثم يتبع الشعب القوي على الشعوب الصغيرة فيقرص عليها عبادة ربه وطاعة أميره . ثم تمتد حدود الدولة وراء بلادها فتصح

ها الصفة « العالمية » وتحت الأرض كلها عدا واحدا حصصا لشريعتهما
وشرائعها . فلا يطاع فيه ملك غير ملكها ولا يعبد فيه رب غير ربها .
ولا يأتي هذا التوحيد على سبيل تسوية بين الغالب والمغلوب أو على سبيل
الهداية والإرشاد ، بل يأتي على سبيل انقهر والإحصاء وتحرير المغلوب
من سادته في الأرض وسادته في السماء على السواء .

وعلى هذه السمة جرى الرومان على إخضاع يهود حين فرضوا عليهم
عبادته « للإمبراطور » في هيكليهم ووضع الشجرة الرومانية على محاريبهم .
فلم يفرضوا عليهم ذلك هدية لهم أو عترفا بمساواتهم . من فرضوه
لإخضاعهم وتحريم كل معبود في الدولة غير معبودهم ، وهكذا صنع
غير الرومان في مصر وبابل والبلاد الفارسية .
إن هذا « التوحيد » وحد قبل الإسلام .

وحكمه بعد شيء عن دين الإنسية الذي بعينه . وهو الدين الذي
يتجه إلى جميع الأمم بدعوة واحدة على سة المساواة بين الشعوب
والأخماس والتماس الهداية للعالم والمغلوب ، فشتان دعوة إلى توحيد
العبادة تقوم على سيادة والاستعباد ، ودعوة إلى توحيد الإنسية في
حقوق واحدة وهداية واحدة وإيمان واحد بأنه لا إله غيره يتساوى
الناس بين يديه ولا يتفاوتون بغير فصل والمصالح

قد كان الإله عند العبريين يسمى إله إسرائيل ويخص من أسماء
براهم ذرية يعقوب بن إسحاق دون سائر العبريين

قال يوشع : « هكذا قال الرب إله إسرائيل »
ويقول الشعب في كتاب الأيام « أأنت إله الذي طردت

سكان هذه الأرض أكرم شعبك إسرائيل وأعطيتهم لنسل إبراهيم حبلك
إلى الأبد . . .

وقال داود في سفر صموئيل الأول : « عازت الرب إله إسرائيل
الذي أرسلك هذا اليوم »

وفي سفر الأيام : « خلصنا يا إله خلاصنا ، واجمعنا وأبقنا من
الأمم لمحمد اسم قدسك ونفخاخر بتسبحتك مبارك الرب إله إسرائيل
من الأزل إلى الأبد . . . »

ويطعن بنو إسرائيل في هذه حطورة وإن لم يستحقوها بولاء أو
إيمان ، ويتنبأ المتنبئون والأنبياء فيسعون عليهم حياة لإلهكم جاء في سفر
أرميا : « إن آباءكم قد تركوني ردهوا وراء آلهة أخرى وعدوها
وسجدوا لها وإني تركوا وشريعتي لم يحفظوها ، وأنتم أسأتم في عسكم
أكثر من آباءكم وها أنتم دهبون كل واحد وراء عتاد قلبه الشرير حتى
تسمعون لي . . . »

ولكنهم يعودون فيسمعون من صاحب الدبر أن الله يريد لهم شعباً
له : « واحصل عبي عبهم للحير وأرجعهم إلى هذه الأرض وأقيمهم ولا
أهدمهم وأعرسهم ولا أقنعهم وأعطيهم قلد ليعرفوني أنا الرب
فيكونوا لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً لأنهم يرجعون إلى بكل قلوبهم »

ودامت هذه لعقيدة إلى عصر خيلاد فتبأت العقول بعقيدة أرفع
مها وأعدت وأقرب إلى المساواة بين الناس ، فكان يحيى المغتسل (يوحنا
المعمدان) يزعزع هذه ثقة ما خلاص لغير سب من عمل أو إيمان .
ونخاص لقوم كلما تهادوا في اغترزهم بالنسة إلى إبراهيم الخليل قائلاً .

إن الله قادر على أن يخلص لإبراهيم أبناء من حجارة الأرض ، فإن لم يخلصوا في إيمانهم فلا أمل لهم في الخلاص

وتحولت الدعوة المسيحية من بني إسرائيل إلى الأمم على الرغم من بني إسرائيل ، لأن سيد المسيح شبههم بدعويين الذين أقام لهم العرس فغللو بالمعاديير وتحلفوا عن حابة الدعوة : « فقال هذا إلى اشترت حقلا وعلى أن أخرج فأنطره . . وقال ذلك . إلى اشترت ارواحا من القفر وسأمضي لأحرقها . فغضب السيد وقال لعبده اذهب عجلا إلى طرقات المدينة وأرقها وهات إلى من تراه من المساكين . فعاد العدد وقال لسيدته : قد فعلت كما أمرت ولا يزال في الرحمة مكان . قال السيد . هادع غيرهم من أعطاف الطريق وزواياه حتى يمتلئ بيتي فلن يذوق عشاى أحد من أولئك الذين دعوت فلم يستجيبوا الدعاء »

ولم تتحول الدعوة المسيحية عن بني إسرائيل إلا بعد إغراضهم عنها وإصرارهم على الإغراض في كل بقعة من بقاع فلسطين توجهت إليها دعوة السيد المسيح وتلاميذه . أما قبل ذلك فكانت الدعوة مقصورة عليهم صريحة في تقديمهم على غيرهم من الأمم . ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نوحى صور وصيداء . وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك النخوم صرخت إليه قائلة ارحمنى يا سيد ! يا ابن داود ابنى مخنونة جدا ، فلم يحسها بكلمة . فتقدم إليه تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : اصرفها لأنها تصيح وراءنا فأجاب وقال : لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الصلاة فأثت ومجدت له قائلة يا سيد ! أعنى . . فأجاب وقال ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب . . فقالت

معهم يأسيد والكلاب أيضا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة
أربابها حينئذ نوحى يسوع وقال لها يا امرأة عظيم إيمانك ليكن لك
ما تريدين . . . »

وتحولت دعوة السيد المسيح ودعوة لرسل مسيحيين إلى الأمم غير
مقصورة على بني إسرائيل . ولكهم كانوا يدعون الأمم لأنهم أحق
بإبراهيم من أبائه بالخسد . إذ كان المستعبدون لدعوة بناء إبراهيم
بالروح

وإذا رجع تاريخ الأديان قبل ألفي سنة لم نجد فيها دين واحد
حررت دعوته من نطاق القومية فعمت شعوب الإنسانية على اختلاف
أصوبها وأجناسها

وقد وجدت في الصين شعوب طلعت في ذلك العهد مائة مليون أو
تزيد . ووجدت في الهند شعوب تقاربها في العدد ولم يعرف هؤلاء ولا
هؤلاء دعوة الإنسانية إلى دين واحد بل كانت لصين تدبى بعبادة
الأسلاف كل بيت له هيكله وعبادته على حدة . وكانت ديوانه الهند
ديانة الطبقة العالية يفرق لأحبار تلاوة سفارها ويحرمون على انصفقات
المحرومة تلاوتها ولتعرض لهمها وتفسيرها . ويقول جوتاما رشي في
بعض كتب الفيدا : « إذا سمع الفيد رجل من سوديين من واحد
الملك أن يصب الرصاص المذاب في أذنيه »

هذه مقدمات الدعوات الدينية قبل الدعوة المحمدية بعدة قرون .
ويصف المقدمات عند هذه الدعوات . ثم يستمع الناس إلى دعوة من
تمش حرية العرب تنادي بني الإنسان جميعا إلى دين واحد وبه واحد
وحي واحد

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي خَلَقْتُكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْتُكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ »

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ »

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ »

وبمضد . أصل الدعوة آيات الكتاب الذي أُرسل إليه فيقول في تفسير
هذه الآيات : « لا فضل لعربي على أعجمي ولا لقرشي على حثي
... »

ولو لم يكن من سعة المسافة بين المقدمات وهذه البيعة غير هذه
الذي أحملناه لكان فيه الكفة

لكن العجب منه يتصاعف ويتعظم حين تأتي نتيجة من أعماق
الحريرة العرمة حيث مشتجر الأسباب والأعراق على كنه يعرف به
مثيل بين الأمم والعصبيات

وبقية تبقى بعد ذلك معجب فوق ذلك المعجب المتصاعف
المعصم . فإن الرسول الذي نادى بهذه المساواة بين الأحرار والأمم
يكن دون أحد من أبناء الحرية كلها حسنا وبسا من ثوبه لشرهين .
من كان من شرف الأبوة في الدولة التي يعترف بها النظراء وبعد

المكابروا وهذا الرسوب هو الذى يتعلم منه الناس بهم إذا صحوا واستقاموا : « فلا أسبب بينهم يومئذ ولا يتساءلون »

المسئولية الفردية

وللديانة الإنسانية مساعد و حد هو ضمير كل فرد من أفرادها . فقام
بكن لهذا الضمير حساب وعليه تبعة فلا ديانة لإنسان ولا لحملة إنسان .

وفكرة تبعة الفردية ، ودينية الفردية بسيطة سهلة المهم تتجدد
الحاجة إلى تطبيقها كل يوم في كل بيئة اجتماعية هو كانت الفكرة تروح
عقدار ساطنها وسهولة فهمها ونحدد الحاجة إلى تطبيقها ما حلا المجتمع
الإنسانى قط من مبدأ المسئولية الفردية منذ أوائل عهد الإنسان
بالاجتماع .

لكن الواقع أن هذه الفكرة البسيطة قد أهملت وطلت مهمة من
عهد البداوة إلى عهود الحضارة الأولى لأن محاسبة الفرد لم يكن
مرجع إلى سلطان واحد إذا كان الفرد من القبيلة يعتدى على فرد من
قبيلة أخرى ويبدى أن ترصى قبيلة المعتدى أن تسلمه إلى قبيلة المعتدى
عليه ، فإن لم تسلمه نصاست ، في الدفاع عنه روقت الحرب بين
القبيلتين أو تعرض كل فرد من أفراد قبيلة المعتدى لأخذ الثأر منه . وقد
يتواوثون الثأر إلى الأبناء والأعقاب

ففى نظام القبيلة على « مسئولية » القبيلة كلها عن جميع أفرادها ،
ثم تطورت القبيلة وتآلف الشعب من جملة قبائل متعارفة على نظامها
القديم . فنشئت على عاداتها لصعوبة التعبير في الجماعات التى تقوم على

مخافته ورعاية التأثيرات السلبية ، وبلغ من ثبات هذه العادات أن رومة التي كانت تسمى ام الشرائع جعلت الأب مسئولاً عن الأسرة وناحت له التصرف في أرواحها ومواطن . وقد باطرتها في بشرى شريعة حمورابي فحصلت من حق رجل الذي تقتل نكته أن يتسلم ست أقاتل ليقبها كأنها لا تحب عدهم إسائيا مستقلا بحياته

وكانت في لحد حصارات تأخذ نمداً المسئولية الفردية ولكنها ترجع بها إلى حياة سابقة متسلسلة من حياة سابقة على مدى الأزمنة التي لا تعرف لها بداية مبدأ أن الآراء . فهو موزود بحرثه وأثامه وكفارة تلث الحرث والآثام إلى الأجل المقدور . وبسبب تعانه مرهونة بما يعمل به بعد ميلاده بل هي سابقة للميلاد لاحقة به آماد بعد آمد

وعلى هذا تعاقبت لأحبال على هذه المسئولية الفردية في أطيوار البداوة وأطيور الحضارة ولم تعرف حضارة واحدة دامت بهذه المسئولية على النحو الذي يفهمه الآن أو على نحو قريب منه غير الحضارة المصرية في عصور الأسر القديمة . ثم طواها الزمن وصير معها شرائعها فلم يبق منها إلا اليسير

ولا يصح في شرح « مسئولية الفردية » كما اعتدها أسس من المتدينين الكتابيين قبل الإسلام . ولكنها تشير إلى طريق منها للإيابة عما انتهت إليه واستقر عليه عند ظهور الدعوة الإسلامية

في سمر لتكون أن « نوحا شرب من الخمر فسكر ونعوى دحل حياته . فأصر حام أبو كنعان عبوه أبيه وأحمر أخويه خارجا منها

ستيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنته لصغير فقال مدحوب كعدان .
عند العيد يكون لإخوته . . . »

وفي سفر يشوع أن « عاحاب » سرق من عاتم بفتار في وقعة عاي
فأهرم الإسرائيليون « وأحاب عاحاب يشوع وقال حقا إني قد
حصأت إني الرب إله إسرائيل رأت في أعنية رداء شنعاريا بمينا
ومثني مثقال من لقصه ولسان ذهب وورنه حمسون مثقالا فاشتبهت
وأخذتها وهاهي مطمورة في الأرض وسط حيمتي والقصة نحتها
فأخذ يشوع عاحاب بن روح والقصة والرداء ولسان الذهب رتيه وبناته
وبقره وحميره وعصمه وحيثته وكل ماله وجميع إسرائيل معه وصعدوا
بهم وادى عمهور مقتل يشوع كيف كدركت بكدرك الرب في هذا
اليوم . فرجمه جميع إسرائيل بالحجارة وأحرقوهم بالنار ورموهم
بالحجارة وأقاموا فوقه رحمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم . فرجع الرب
عن حمو غصه »

» » »

وكان القواك اشائع أن عصب آدم جريرة لابأس عا ١ وحده . بل
يسأل عنها كل ولد من ذريته

أما الدعوة الإسلامية فالمسئولية الفردية فيها شيء جديد كل الحدة م
يتطور مما تقدمه ولم يكن نتيجة قط لإحدى هذه المقدمات ، ومعجزة
المعجرات فيها إياها قامت بالمسئولية الفردية حيث يصدها كل عرف قائم
وعرفتها كل نظام مصطلح عليه في المعاملات والعقوبات

ومن هاهنا أعماق الحرية العربية - ولأقارب ههنا غير قلوب النار
ولأشريعة ههنا غير شريعة القبيلة . وتعلم الناس لأول مرة في تاريخ اسداوة
والحصارة « أن ليس بالإسباب إلا ماسعى » وأن جيلا من الأحكام
لأنه أخذ تحرير أسلافه ولا يؤخذ خبثه تحريره « تلك أمة قد حلت
ها ما كنت وكنكم ما كنتم ولانسابهم ههنا كانوا يعملون »

و « كل امرئ بما كسبه رهين »

• •

مرحلة شاسعة لم يعمل في تاريخ البشرية كله ما عمله الإسلام وحده
امتدنا غير مدعة . بل امتدنا على الرعم من العوائق والموانع
وابتصت

ولم تكن هذه المرحلة التاسعة ناهية من نوافل الرأي على حوشي
العقيدة . ولكن هي الفتح الأكبر من فتوح الصمير في جميع مراحل
التاريخ إذ لا أقوام لمخلق ولا لبدن يغير التبعة . ولا معنى يغير التبعة
شكليف ولا حساب .

الكعبة

ونعود بعد هذه المقدمة الى حديث الكعبة أو لكعبت التي
ثابت إلى قبله واحدة هي قبلة الكعبة الحكية جامعة للطوائف

يدور البحث ما يدور في تاريخ العرب الديني ثم يتصل من احدى
واحيه بتلك البيوت التي تعرف بيوت الله ، أو البيوت الحرام .
ويقصدها الحجاج في مواسم معلومة يشترك فيها انقائل من سكان البقاع
القريبة ، ويشاهدون على المسمة في جوارها .

وكان منها في الجزيرة العربية عدة بيوت مشهورة ، وهي بيت
الأقصر وبيت ذي الخلصة وبيت صعاء وبيت رضاء وبيت نحران وبيت
« مكة » أشهرها وثقافتها ، عدا بعض البيوت الصغار التي يعرفها الرحالون
ولا تقصد من مكان بعيد

وكان بيت الأقصر في مشارف مقصد القبائل من قصاعة وخم
وحدام وعامية ، يحول إليه ويحلقون رؤوسهم عنده ويقولون قبضة من
الدقيق مع كل شعرة ، وهو الذي عناء رهيرب أني سلمى بقوله :
حلفت بأنصاب الأقصر جاهدا
وما سحقت فيه المفاديم والفحل !

وبيت « ذي الخلصة » كان يدعى بالكعبة اليمنية في أرض حنيم بين
مكة والبحر على مسيرة سبع نيام من مكة ، وروى المحاذي أن النبي عليه
الصلاة والسلام أمر بهدمه فهدم ، وأن الذين كانوا يسمونه بالكعبة

إيجابية كانوا يطلقون اسم لكعة الشامية على كعة مكة تميزا بين
الكعتين

وكان بصنعاء بيت رثام يحجون إليه وسحرون عبده قطب حبران
« بقروان النوراة » من ملث التبن أن يأمر بهدمه ، لأنه شيطاني ، يفتن
الناس ، فأذن لها فهدماه

وفي بيت رصاء يقول مستوعرس ربيعة بن كعب حين هدمه بعد
الإسلام .

ولهذا شددت على رصاء شدة فتركها فقرا ففزع أسحا
وأعاد عبد الله في مكروهاها وعزل عبد الله أعشى أعزما
أما كعة بحران فقد تعمت آثارها وكشفها الرحلة عبد الله علي في
رحلته (٢٥ يولية سنة ١٩٣٦) وهي التي قال فيها الأعشى بخاطب
ناته

فكعبة بحران حتم عليها لك حتى تناحي أبوابها
سرور بريد وعمد المسح وح فيساهمو حير أربابها
ويقول بعض المؤرخين ومهم نو اسدر - إن هذا البيت وبيت
سداد بين الكوفة والبصرة لم يكونا من بيوت العادة وإنما كانا من
المزارات الشريفة التي يذكرها السياح

اسم الكعبة

وقد ذهب المؤرخون مذهب شتى في تفسير اسم الكعبة ، فقال
بعضهم إنها كانت كلمة رومية أطلقت على كعبة مكة لتكعبها ، وأن بناء

من الروم عمل في ثنائها وهندسها فاستعير اسمها من اللغة الرومية . وقيل
بل كان بذورها من خشة ومهاى من خشة عرفت العرب ساء
هذه المعاند وأمثالها لأهم أمة حيام لم تتأصل فيهم صناعة لثناء
وهؤلاء المؤرخون وأشدهم تشبثون بالمرع ويعملون الأصل بخذوره
وجذوعه منه

فهي يكر من لغة الساء الرومى أو الخشى فالقدس لعربة لم تن تلك
البيوت لأن الساء من لروم أو من الخش . ولم ترد أن تشيها بيتا
يسمى الكعبة أو المكعبة في لغة الرومية . وإنما وجدت الحاجة إلى
البيت الحرام ثم وجدت له نسبة إلى تلك العاية . ولو لم يه أحد من
الروم أو الخش ساء أحد من فارس أو مصر أو الهند أو غيرها من الأمم
التي تقدمت في هذه الصاعات وقد احتاج سليمان بن داود إلى ساء
هيكله لاستعد بالنصاع العاملين في حجر و معدن والحديد من شواطئ
البحر الأبيض إلى جوره في الشمال . ولم نفهم العقيدة نعا لأصحاب
الصاعة بل كان أصحاب الصاعة جميعا ممن يتخلون تلك العقيدة
ويتسمون بسمة الكهر والإيكار عند المعتقدين بها

ولم يعرف أن معدا سمي بشكبه أو كان به شكل غير أشكال لأشنة
التي يغلب عليها التكعب مع بعض الاستطالة . وليست مده كعب
بالعربية عن اللغة العربية لأهم كانوا يعرفون كعوب الفتاة ويسمون الفتاة
كاعبا إذا كعب ثدياها ويسعون بالكعوب ويتسلحون بالرماح وهي من
القصب أو من الأقنة . فغلب أن يكون اليونان هم الذين أخذوا من
العرب كلمة الكعب وكلمة الفتاة فتصحفت في نطقهم إلى العانون وهو
العصا التي تتخذ للقياس

البيوت الحرام

ومنها يكن من أخصون هذه الأسماء والأشكال . فالأمر الذي لا يجوز
فيه الشك أن « البيوت الحرام » وجدت في الحرية العربية لأنها كانت
لأمة ولم توجد فيها العبادات والمعبودات لأن أحدا أحدا عنها لتعبد
وتقصد ، وإنما كانت العبادات والمعبودات مرغبة موروثة ثم أنهم هـ
المكان الذي تعبد فيه وتقصد من أجله

وقد اجتمع بيت « مكة » من بيوت الحرم عالم يجمع بين
أحرى أنحاء الحرية . لأن مكة كانت متى شقوا بين الجنوب والشمال
وبين الشرق والغرب ، وكانت لأمة من يحمل تحارة يحمل إلى الشام ومن
يعود من الشام تتحارة يحملها إلى شواطئ الجنوب ، وكانت القبائل سود
منها عشيرة مطروقة تتردد عندها ولم تكن فيها سادة قاهرة على تلك
القبائل في ماديها أو في رحلاتها . فليست في مكة دولة كدولة الشايعة في
اليمن أو في حيرة أو العباسية في الشام ، وليس من وراء
أصحاب لرتاسة فيها سلطان كسلطان دولة الروم أو دولة فارس أو دولة
الحشة وراء الإمارات العربية المتفرقة على الشواطئ أو بين بوادي
لصحراء فهي أي مكة - مشاة عبادات وتحارة وليست بحرة مست
يستند بها صاحب العرش فيها ولا يبالى من عده ، وهي - لم تكن
كذلك من أقدم أزمانها فقد صارت إلى هذه الحالة بعد عهد حرمهم
ولعالمين ليس روى عنهم الرواة أنهم كانوا يعشرون كل مادحتهم من
تحارة .

كانت « مكة » عربية جميع العرب ولم تكن كسرويه ولا فيصرية

ولأنهية ولا نجاشية كي عاها كانت تكون ذو استقرت على مشارف الشام
أو عند بحوم جنوب ، وبعد تمت ها خصائص التي كانت لازمة من
يفصلوها ويحدون فيها من يادهم ويأذلوها على حكم المفعة الشركة لا
على حكم القهر والإكراه

ولقد حاول مدون الكبري أن تستعي عنها سحويل لصريق منها أو
هدم كعبتها فلم يفتح وليت ها مكسها وولاسها كما كانت من أقدم
عهودها وهي قديمة سابقة ككتابة أسفار لعهد القديم في لتوراة . فيها
هي « ميشة » مشار إليها في سفر الكهين وهي « ميشا » التي يقول الرحالة
« برتون » إنها كانت ستا مقصود معادة ناس من أبناء الهدم . ويقول
الرحالون شرقيون ، ها كانت كذلك بين مقصود بصدئين الدس
قامو في جنوب العراق قبل ميلاد مآكر من عشرة قرون . وبرجح عن
ترجيح لخص أن سكان شواطئ غند وحبش فارس وحدوا فيها سمحة
بعده أربابهم لعلوية وأهلاك لسماء كما يرددوا عيه في تجارهم من
أقدم عهود التاريخ . فكان حكمهم فيها حكم القائل مددة التي
وحدت فيها محلا معادة أوثانها في موسم الحج والإحرام

ومن المحاولات لتاريخية بني لاشك في بوعشها محاولة عام هيل
ومحاولة عثمان من الحويرث أن يدخل مكة في حوزة الروم وأن تستولى
دولة روم من ثم على تجاره المشرق كلها من شواطئ يمن إلى مشارف
الشام .

لالحشة كانت تخشى نفوذ الفرس في يمن وكانت تبني من دولة
روم معونة على مقاتلة لتاعة اليمنيين وكانت تحذر دولة الروم لأنها

كانت عندك الوصول إلى بلادها من ودي النيل ونجت صريق البحر
الأحمر في نهاته القصوى. فلما خرحت جيوش الحبشة بقيادة أبرهة
وأرسلت كانت دولة روم من وراء هذه العرود وبنت هزيمة دى بداس
ملك يمن فانتحم لبحر بحارده ليغرق فيه. وسهر أبرهة عن عنته بعد
التكم من اليمن وشواطئها هي «لفلس» في صنعاء وبحر «نكون»
مصحفة من كلمة الكس البيرية معنى بعد والمجمع أو من كلمة
ككس بمعنى التكليس أو الطلاء. فلما تم بناؤها أمر بتحويل الحج إلى
وكتب إلى السجاشي يقول: «إني ليس عنته حتى تصرف إليها العرب
أجمعين». فقبل ما قبل إني أناس من العرب كانوا يذهبون إلى هذه
الكعبة الحديدية لينسوها وأن ميلا من سادات تميم فعل ذلك وتحدى
أربابها أن تعصيه بأدائها كان لها قدرة لأربابها. فكان من جراء
ذلك هجوم أبرهة على مكة في عام الفيل المشهور

هذه محاولة لأشك في العرض بها وهو لاستيلاء على طريق الحجاز
من اليمن إلى الشام

ومحاولة الأخرى كانت من محاولات السياسة الخفية لتلك سيد من
عرب على مكة مدس بالبلاء لدولة الروم فارتضى مصر لذلك مكة
رجلا من ساداتها هو عثمان بن حذيرث بن أسد بن عبد العزى.
وكتب له رسائل يلعبها قومه فعاد بها وجمع القوم إليه يرفعهم في حسن
الحواء من قبصر ويندرهم سوء العاقبة في الشام إذا هم عصوه وأهول
ما هنالك أن يعنى أربابها في وجوههم وهم يذهبون إليها ويعودون بها
كن عدم قد أيا قوم أيا قبصر قد عنتهم أماكم ببلادهم ومن يتصور

من التجارة في كعبه . وقد ملكني عليكم وأنا ابن عمكم وأحدكم .
وإنما أحد منكم الخراب من نمرط والعكة من اسمر والأوهاب
فأجمع ذلك ثم أذهب به . وأنا أخاف إن أيتم ذلك أن يمنع منكم
الشام فلا تنجروا به وينقطع مرفقكم منه .»

ومده المحاولة السياسية عرصها كما هو ظاهر كعرض تلك المحاولة
العسكرية . وكلتاها تثبت شيئاً واحداً وهو قيام كعبة الحدر على كره
من دوى السلطان في الجنوب . وأن دولة الروم لم تكن تريد لها باختيارها
وإنما كانت مشغولة بها معية بتحويلها إلى حورتها فلم تستطع أن تنال منها
ساحاً . واستطاع « لكعبة » أن تحبط مكها عن الرغبة من حرم مكة
من العروش العانة على أنحاء الجزيرة بجميع أشرافها . بل استطاع
ذلك خلوه من تلك عروش وقيام الأمر فيها على لتعميم دور
التخصيص وعلى تمثيل حملة العرب ثأورائهم ومعودائهم دور أن
يسحروهم المسحورون من سندهم فريق يسحروهم تسخير السادة للاتباع
المكرهين على الطاعة وبذلك الإثارة .

قداسة الكعبة

ولأساس المهم لدى فامت عليه مكانة البيت المكي أن البيت
بحملته كان هو المقصود بالقداسة غير منظور إلى الأوثان ولأصنام النبي
اشتمل عليها ، وربما اشتمل على الوثن المعظم يقده بعض القبائل
وتردده قبائل أخرى فلا يعص ذلك من مكانة « البيت » عند المعظمين
والرديين . واحتضت الشعائر وسعدوى التي يدعيها كل فريق لصننه
ووثنه وم تحتلف شعائر البيت كما يولاهها سديته المقيمون إلى حواره

والتكفون نخدمته . فكانت قداسة البيت هي القداسة التي لا خلاف عليها بين أهل مكة وأهل المدينة . وجار عندهم . من ثم ، أن يحكموا بانضباط على اتباع صمم معصوم ويعتبر البيت عابة حقه من الرعاية والتقدير .

وعلى هذا كان يتفق في موسم الحج أن يجتمع حول البيت أناس من العرب يأخذون بأشياء متفرقة من الخومية واليهودية والمسيحية وعادات الأمم المختلفة ولا يجتمع بها دين واحد يؤمن به متعبدات على نحو واحد . وما من كلمة من كلمات الفرائض لم تعرف بين عرب الحامية يعطها وحمة معها كالصلاة والصوم والزكاة والطهارة وماطها كلها أنها حسنة عند رب البيت أو عند الله وخاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن الصامت أن أباذر قال له : يا ابن أخي ! صليت مرتين فبئر مبعث نبي ﷺ . فسأله : فأين كنت نوحه ؟ قال . حيث وجهي الله !

وخاء في لأعاني أن زيد بن عمرو بن نفيل كان يستقل الكعبة في صلاته ويقول :

لبيك حقا حقا تعدا ورقا

عدت عما عاد به إبراهيم مستقل الكعبة وهو قائم
يقول إني لك عال راغم بها تخشعي بابي جاشم

ودكر صاحب كتاب حجة الله البالغة أنهم كانوا يصومون يوم عاشوراء . وكان صيامهم من العجر إلى مغرب الشمس . وكانت لهم

بقايا من العبادات التي عرفت بين أهل الكتاب أو لم تكن معروفة على
وتيرة واحدة بين أتباع دين من الأديان، وإنما يرغب فيها أنها أعمال
ترضى «لإله» وأنهم يعرفون لها أعظم من سائر الآلهة تتوجهون إليه
بالدعاء. وهي حقيقة لا يعثرها الشك لأنهم كانوا يسمون «عبد الله»
ويلبسون فيقولون اللهم ليث. ولا يدعون أحدا من الأصنام «رب
البيت» فإذا قالوا «رب البيت» رادوا به ربا فوق جميع الأرباب

بما في هذه لرسالة بذكر المقدمات ونقسمها كما قلنا في مبحثها إلى
قسمين قسم ينقطع دون النتائج التي جاءت بعده، وقسم يتصل بنتائجه
ويشير من مدأه إلى عاقبته في محرى الحوادث وليس بين هذه المقدمات
المتصلة ما هو أحكم اتصالا بين أوائله ونواتيمه من قيام البيت في مكة
وتوثيقه قبائل العرب على حرمة واحدة.

وقد سميت الكعبة «خمساء» ونسب إليها «الخمسة» وهم طوائف
متشددون في فرائضهم وخلاتقهم يدينون أنفسهم بانتقشف وارهد في
موسم العبادة، فيقصون زما في انعراء لا يحول بينهم وبين سماء حائل
من سقف أو ستار. ويحرمون على أنفسهم في الأشهر الحرام أكل الأقط
والسم والسمس السبيع من الثور والشم. ولا يحبرون لغيرهم أن يطوف
بابيت في غير الثياب الأحسية ويجعون لطاف بالليل للساء إذا لم
تكن عليهم هذه الثياب.

ومن رعاية حوار البيت حلف المصون لدى تعاقد عليه أناس من
عنية قريش ليسفرون كل مظلوم ويردون الحق إلى كل معصوب وليكن ندا
واحد في قتال كل غاصب ينج في طلعه وعصبه اعترزا يمانه أو بعصته

وحرره . وما من مقدمة للدعوة المحمدية كانت الرم ولا أكرم من هذه
المقدمة تيسر لاحتياج الكثرة على الخير وتوحيد أبناء الحرية العرة في
دعوة واحدة ليست لدى سلطان من ملوك اليمن أو خبيح فارس أو
مشارف الشام الدين يدينون بالولاء للأكاسرة وللقياصرة وللسجاشيين .
بل هي دعوة الله ينلقاها أصحاب التحاب والعروش كما يتنصها عمده
حنن من عماد الله .

أسرة النبي أجداد النبی

مدّ نسب نبي احرام تلك المكانة العالية بين العرب كافة وحتّ له
أمانة الخدمة بماله من حق محفوظ وشرف ملحوظ ، ووحب لخدمته
اسمته الذي يحمل هه المقام وهو فوق مقدم لرياسة السيوية وعلى مشاة
من مقام العدة والتقدير .

وم يقم هذه الأمانة أحد كما قدم ه أجداد النبي عليه السلام من بني
هاشم . فقد حفظوا حفيها وعرفوا سمها بل ودعوا عليه فصره بغير كلفة .
وبد منهم الإيمان ه في مآرق الشدة التي يمنح بها الإيمان بحب
لنفس وحب اسين فيعيب الإيمان على حب المرء لنفسه وحبه لنيه .

وقد تنافس سو هاشم ربو أمة على هه الشرف فأسمرت المناصة
سها عن فارى في انطباع ملحوظ الأثر في حالات الأسرتين من أيام
الجاهلية إلى ما بعد الإسلام بعدة قرون . ومنها نجد من سبين
متناظرين في هاشم ومية بلا وحدث بيها هه الصارق على نحو من
الأنحاء .

كان سو هاشم أصحاب عقيدة وأريحية ووسامة . وكان سو أمة
أصحاب عمل وحنة ومظهر مشيء . ويعقد لإجماع أرم يشه الإجماع
على أنصار الجاهلية التي تم على هه الحصان في لاسر وبني الكثير
سها إلى ما بعد قيام الدولة الأموية فلم يفتندوه

ومن هذه الأحبار أخبار المسافرات المتتالية تجمعها منافرة حرب وعبد
مطلب إلى نفييل حد عمر بن الخطاب إذ يقضي بعد المطلب ويحاطب
حرد قائلا «تأخر رجلا هو أطول منك قامة وأعظم منك هامة وأوسم
ملك وسامة وأقل منك لامة وأكثر منك وبدا وأحرل منك صفدا وأطول
منك سددودا.

أبوك معاشر وأسوء عصف وذاد لفيل عن بلد حرام»
واسسبون يؤيدون ما تواترت به هذه المافرت ، فيقول دعص
النسابة معاوية وقد سأله عن حده أمية : «رأيت رجلا قصيرا صريحا يقوده
عده دكاوان» قال معاوية «ذلك منه أبو عمرو !» قال دعفل :
«ذلك شيء تقولونه أنتم أما هريش فلم تكن تعرف إلا به عده»
ويقول الكشي في بناء عد مطلب دكاوان إذا طافوا بالبيت
يأخذون البصر.

وهنا في كتاب عن ذي المورين عثمان بن عفان . «وهو ينرد
المزح في قول بعض الروايات لمتقدمة على علاتها ، ولكنه لا يحتاج إلى
المشكك فيه من تلك الروايات يعلم هذا المارق الواضح من حلاتق
العشرين فيما أثر عنهم قبل الإسلام وبعد الإسلام في حلف الفضول
قام بنو هاشم بالأمر وقام به معهم بنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم . وتخلي
عه بنو عد شمس هم يشركوا فيه . وحلاصه قصته أن رجلا يماي
قدم مكة بصاعة فاشراها رجل فبواه بحقه وأنى أن يرد عليه بصاعته .
فقام في المحر أو في مكان على شرف وصاح يستغيث . وكان من أجل
ذلك أن تعاهد أس من بني هاشم وأخلافهم ألا يظلم عنكه غرب ولا

قرب ولا حر ولا عبد لا كانوا معه حتى يأخذوا له خقه من أنفسهم
ومن غيرهم ، وعمدوا إلى ماء من رمرم فجعلوه في حفنة وبعثوا به إلى
البيت فعملت به أركانه وشربه . وقد أتى الأمويون وبنو عبد شمس
عامة على أحد منهم أن يدخل هذا الحلف فكان أحدهم عتة بن ربيعة
يقول : « لو أن رجلا وحده حرج من قومه فخرحت من عبد شمس حتى
أدخل حلف الفضول »

ورمى حتى السب استى يرجع إليه هذا العرف بين الأسرتين . فقد
يرى بعضهم أنه يرجع إلى السب المدحوب وقد رمى الأمويون الأوائل
بشبهات كثيرة في عمود النسب وعرض لهم بذلك أناس من دوى
قرباهم في صدر الإسلام وأشهر ما يشهر من هذه الشبهات قصة دكون
لبنى يقولون إنه من آباءهم ويقول أسابون إنه عبد مستحق على غير
سنة العرب في الجاهلية وقد يعمل به هذا الفارق أن بني أمية كانوا
يعيون عن ديارهم ويعودون إليها فلا يطيب للمقيمين فيها أن يعترفوا لهم
بدعوى انزعامة عليهم ، وأنهم أكثروا من الرحلة في بادئ الأمر حاجتهم
وقلة محصولهم من نتائج النعم وأرباح التجارة . وليس بالبعد أن
« معاوية » لى أشار إليها المحكمون بينهم وبين الهاشميين قد أورشهم بعض
أمراضها ودست في أخلاقهم شيئا من حباثتها . وليس بالبعد أيضا أن
الفارق بين الأسرتين إنما كان من قبل تلك المواقف التي مراد بين الإخوة
كأنها قسمت بينهم ميراث لأخلاق فذهب أحدهم بالحول وذهب أخوه
بأخيلة ، أو ذهب أحدهم بالكرم والأريحية وذهب أخوه بتفائصها من
خلال الأثرة والدعوى .

وأنما ما كان سر هذا لفارق البين لقد كان سوهاشم أسرة لى -
أصحاب رئاسة ، وكانت لهم أخلاق رئاسة .

عرفوا بالسل والكرم والهمة والوفاء ولعمة . وبررت كل حلقة من هذه الحلقات في حادثة ماثورة مذكورة . فلم تكن حلقاتهم هذه من منافذ الأمدوح التي يتبرع بها الشعراء أو من الكلمات التي ترسل أرسالا على الألسنة ولا يراد بها معناها .

كان هاشم عياث قومه في عام الهجرة . فمدن طعمه لكل مارل مكة أو وارد عليها ، وسمى هاشم من ذلك اليوم هشمة الثريد ودعوة الحبيح إلى قصاعه :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عساف

ومما يروى عنه أنه كان أول من سار الرحلتين بفريش رحلة الصيف ورحلة الشتاء . وحقيقة ذلك مما يخص لنا من سوابق الرحلات أنه كان يحس تلك الرحلات ويظمها . فسب إليه أنه أول من سار

ومكانته في غير فريش . وفي مدن التجاره خاصة . تدل عليها مصاهرته لبي التجار في المدينة . ورواجه من سلمى بنت عمرو التي كانت - لشرفها وعزها - تأتي أن تترجح إلا أن يكون أمرها بسده . ولم يكن هاشم مقامه في حجار كله بل أصهر إلى القوم ولا ارتضى القوم هذه المصاهرة من رجل يروى مدينتهم ريادة الطريق بين مكة والشام وقد كان اليهود في بني عبد مناف أنهم لا يقعدون جميعا في ديارهم وأهم لا تزل لهم همة طامحة في رحلاتهم وأسفارهم . ومات أكثرهم في غير وطنهم . مات هاشم بغزة في الشام ومات عبد المطلب برومان إلى باحة من أرض اليمن . ومات نوفل بسلان في العراق

ومن هاشم عبد المطلب سيد قريش غير مدفع . ويسمى هذا انتقال
بين الأسرتين أقصاء في عهد مسطرة حرب من أمية . وكان كلاهما
معتصما في مانه من طرق لعقيدته والأريحية وطرف السعي والحيلة
وكان عبد المطلب متديبا صادق ابيقين . مؤمنا بحجاره ديه في
الجاهلية لأن ثقة الإيمان طبيعة في وجدانه . وهو أول من حل الكعبة
بإدخاله من مانه . ويعتبر منه أنه كان في الحق ممطا فريد بين أصحاب
الطوائف التي اضطرب على الاعتقاد ومثاق النس والإيثار

فلم تكن مناقبه من مناقب الطابع والوثيرة التي تتكرر على صورة
وحدة بين المتصغير بها . ولم يكن كرمه ولا حرمة ولا شجاعته من قبل
الصفات التي تعرف بهذه الأسماء في جميع الكرماء ودوى الحرم
والشجاعة .

بل كانت مناقبه مطلية تدل عليه ولا تصدر من غيره . وكانت كلها
مزجها من لأمة والرصانة والاستقلال ومواجهة لعب عن ثقة رصير
وأداة .

وهذه طائفة من أحجاره لا يعتد في واحده منها تلك المناقب المطلوبة
التي تغز على خيال الخيل ما لم يكن وراءها أصل تحكيه وبرجح يبه

وصل أبرهة الحبشي عام الفيل إلى أراض مكة وبعث رجلا من
العرب يسمى حنظلة يسأل عن «أمير مكة» ويسلمه أن أبرهة لم يأت
لقتاهم وإنما أتى لهدم البيت الحرام فإن لم يمتنعوه فهم في أمان من حربه
فلما أتى الرسول عبد المطلب وأسلمه رسالة أبرهة قال عبد المطلب : والله ما
نريد حربه ، وهذا بيت الله وبيت حبيبه أبرهة فإن يشأ منع بيته وحرمه
وإن لم يشأ نخلى عنه ، والله ما عبدنا من قتال

قال الرسول ، اطلق معي بن الملك ، فاصلق معه عبد المطلب إلى
أن أتى معسكر أبرهة وأدخلوه عليه

يقول الرواة : وكان عبد المطلب رجلا عظيما مهيب وسما فترأ أبرهة
عن سريره وأجلسه معه وسأله عن طيبته فقال عبد المطلب : لا إبل التي
ساقها جندك !

ويقول الرواة : فهاب أمر عبد المطلب في نظر أبرهة وقال له : أتأمن
عن النحر وبرك البيت الذي هو دين بآثك ودينتك من بعدهم ؟ فقال
عبد المطلب : أن رب الإبل ، ولبيت رب يحميه . فأمر برد إبل عبد
المطلب دون غيرها . فأخذها عبد المطلب وودعها النحر وساقها هديا إلى
الحرم ، ووقف على باب الكعبة يقول :

يا رب لا أرجو لهم سواك يا رب فاصمع منهم حكايا
بعدو البيت من عاداك فاصمعهم أن يخربوا قراكا

هذه هي « المطلبية » التي نعنيها في حصال هذا الرجل العظيم
لأنه مع القوة الطاعة ، ولكن لا حصوع لها بل وضعها في موضعها
وقون يابس كل مقام . فإذا خامر انظر أحدا لا يسمع معنى هذه الأتفة
التي تألف من النور كما تألف من الحبر فهناك الجواب الفعال الذي يعنى
ما ليس بعينه المقلد . ما سألت عن الإبل لأنى أضرب بأنماها فإبنى قد
وهبها بعد ذلك لبيت . ولكنى سألت عما لأنها هي موضع سؤالى ،
وتركت السؤال عن البيت لأن استجدء الرحمة من أبرهة لبت الله ينق
لثقة بالبيت وبالله .

وقد حدث بعد ذلك ما حدث مما لا شك فيه ، وهو فتح الحدرى

ثبوت أبرهة وإبراهيم عن البيت وخوفه من أن يتقدم إليه بأذى . وإياه
الخبر قد يسهل إنكاره على المتحذلقه من أدعياء التأريخ لذين يجمعون
التمحيص كله في الإيثار . لولا أن حديث الحدرى الذى فشا (في سنة
٥٦٩) مثبت كما تقدم في تاريخ بروكوب Procopius الوزير البيزنطى
المعروف

وحرآحر من أخبار هذه المناقب المطيبة أنه عاش زمنا قليل الولد لم
يررق غير اسمه الحارث الذى كان يكتب به . وغيره عدى بن نوفل بن
مناف يوما فقال له : أتستقبل عبيد المطلب وأنت قد لا ولد لك ؟
فأجابه عبد المطلب حواه الذى أثر عن ذلك اليوم : « يا بنى تعيرى ! »
قوله بنى تالى الله عشرة من الولد لأحمر أحدهم عبد الكعبة !

وسنعود إلى التعقيب على هذه القصة في حديث عبد الله في لنى
عنه السلام . ولكنى نحترئ هنا أن نقول إننا لأنسقطها لحد اختلاف
الروايات فيها . فإن أخبار الحاضر تناقض أمامنا ونحن لا نذكر وقوعها
لهذا التناقض . وقد احتلفت الرواة في عبد الله بن عبد المطلب هل هو
أصغر أبناءه جميعا أو أصغر أسائه من أمه . وهل بلغ أشوه عشرة أو
حسب منهم أبناء الأساء . وكل أولئك لا يسقط القصة كما أسلفناه وكما
يجب في سيرة عبد الله .

وملتقى الروايات في هذه القصة أنه أمر سبه أن يكتب كل منهم
اسمه في قدح وطلب من صاحب القدح أن يصر عينا فحرق السهم
باسم عبد الله فهم بإلهاذ بذر لوم يشفع عنه أنه العاص ورحالاته
قربش . وتنادوا بينهم بنى فعل ذلك لشكوى سنة ولا ير ل الرجل يأتى
بابه فيدبجه . فإن يكن فداء قبا موالنا جميعا لنقدية

وحتكوا إلى عرافة بالحجار مسألهم كم الدنة فيكم ؟ قالوا
عشرة من الإبل قالت فربو عن وندكم عشرة من الإبل ثم صرير
عليها وعلى ولدكم . ثم رددوا الإبل كم أحضأنا لسهم حتى يخرج
اسهم عليها فاعروها عنه . فقد رضى ربكم ونجا ولدكم »

سبع رواه وعادو بن مكة فربو عشرة من الإبل وصرير "المدح
فخرج القديح على عبد الله . وحعلير يردد عشرة وعشرة حتى سبع
دائه وقيل ثمانية . فخرج اسهم غلب فاعروها وتركوها لا تمنع من
لحمها إنس ولا وحش ولا ص

ومن أحاراه أن قرش حاصته في ماء زمزم بعد أن حصرها
وعارصوه في احتصارها . فاحتكوا إلى كاهة بني سعد بن نعيم عشارف
الشام . فركب عبد المطلب ومعه نهر من بني عبد مناف وركب من كل
قبيلة من قريش نهر يتقدمون وفي ماء عبد المطلب عند بعض المصوز
بين الحجار والشام فطمى أصحابه حتى يقولوا بأهلكة ، وطلبوا الماء ممن
معهم من قريش فلم يسقوهم . فجمع أصحابه وسأهم ما روى
قالوا ربنا بيع لرأيت قربا ع شئت قال فإني رأيت أن يحرك كل ما
حفرته فيواريه فيها أصحابه إدامات ، حتى يكون آحر كم موقا قد وارى
جميع . فصبعة رجل واحد حير من صبعة الركك كله ثم رده
رأى أصوب من هذا الرأي فقال لأصحابه والله إن إلقاءنا أنفسنا
بأيدينا لموت هكذا دون أن نضرب في الأرض وبهتجى لأنفسنا لموت
المعجر فاهلما برحمن . ولم يدهوا في طريقهم غير يسير حتى انفجرت
عين ماء عذب تحت حف راحته . فشرابوا وملأوا أسقيتهم ثم دعا
القبائل من قريش فقال اهلموا إلى الماء فقد سقانا الله فهد

أصحابه لأنسقيهم والله لأنهم م سقون . قال . نحن إحد مثلهم . ولم
يرصه أن يعمل مثل عملهم وهو أحق بالرجحان عليهم . وعرف
انقرشيون به هذا الحق فكفوا عن منارعتي في ماء رمرم وسلموا له اسقية
نبي كانوا ينفسونها عليه

ويرد عه أنه كان له حار يهودي يسمى أدبة . وكان له مال كثير
فطلع فيه حرب بين أمية وعمرى به فبدا من قومه يقتلوه . فم يرل
عدا المطب يستقصي خبره حتى علم بعنياته ومن اعتدوه . فأبى إلا أن
يكبره حرب على أدبة وأحد منه مائة ناقة أسلمها إلى من عم ليهودي
وارنجع ماله إلا شيئا هلك فارتجعه من ماله .

وهذه هي المناقب « المحصنة » التي نقول . أنها لا تغري بحري الصنع
والزينة ولا تنفي عماوينها عن الظرفي ملامح أصحابها ومميزاتهم في
التفكير والعمل . وهي مناقب لا تخترع ولا يصيرها أن يصادف فيها الخبر
المخترع إن الخبر الواقع لأن الرواة المخترعين في هذه الحالة كما ينقلون عن
صورة أصيلة تمت في ذهابهم فنل خترع أخبارهم عنها . فحاولوا أن
تكون أخبارهم لمخترة مطابقة لحقيقتها .

ففي كل حرم من هذه الأخبار « المطيبة » إيمان وحرم ووفاء وجرأة
على الخطر ولكن في غير معلطة ولا صطوع . وإما قوم دبت كنه حرم
يملك زمانه ويعمل راحته كما يراه

وأدعياء التاريخ حلفاء أن يسألوا أنفسهم هنا سؤايل لا يغنيها أحد
بمقه معنى تمحيص الخبر . وأوهي في هذا لسياف . لماذا يخترع الرواة هذه
لأخبار عن عباد المطب دون غيره ؟ وثانيهما لماذا لم يخترعوها ولا
اخترعوا أمثالها عن حرب بين أمية ؟

فإذ كانت صورة الرجل في الأدهان هي علة لاختراع فهالك حقيقة
بدن مائلة وراء هذه المخترعات ، وهناك دلالة في اتفادى الأدهان على
الاختراع أولى بالتصديق من اتفاقهم على رؤية العيان ، لأن رؤية العيان
تحتاج بعدها إلى البحث عما تدل .

وقد اتفقت الروايات كلها على صفات عبد المطلب قبل الاتفاق على
أنحاره . واتفقت الصفات ولأنحاره معا على ملامح شخصية قومها
الإيمان والحرم والوفاء وضبط النفس في مواضع القوة وخطر بعريته
لاتهورى غير جدوى ولا تنكص على عقبيها خوفا من هوان الجدوى
وكلها صفات حذيرة بآباء الانبياء والمرسلين

عبد المطلب

ولد عبد المطلب في المدينة وسمى « شيبه » تماؤلا له بطول العمر في
أسرة لم يكن طول الأعمار من خصائصها ، وترى بعيدا من آل أبيه
فصدق عليه في طفولته قول القائلين في عصرنا إن الطفل أبو الرجل .
لأنه كان يلعب الصبيان من بلداته فيذكرون آباءهم ويفخرون بهم عليه
وهو لا يرى أباه بينهم ، وحز ذلك في نفسه فجعلت أمه تسرى عنه
وتحدثه عن آل أبيه ومآثرهم في حور البيت الحرام ، فطال اشتياقه إلى
رؤيتهم والإقامة بينهم ، بيد أنه أحجم عن السفر مع عمه « المطلب »
حين قدم إلى المدينة لأخذه إلى مكة ، وبصر بأمه في الدار حزينة واجمة
تبكى لفراقه وتستهل عمه عسى أن يبقه لديها إلى عام قبال ، فقهر في
تلك السن اسكرة شوقه إلى أهل أبيه وقد عز عليه في المدينة أن يفاجر

بهم لداته بين ايئهم ودوهم ، وقهر في إبدن الصمولة ذلك لتطلع إلى
شعول وذلك الحسب إلى العرايب وتلك الرعة في كل حركة وكل انتقال
من مكانه الذي هو فيه ، وقال لعنه بعد أن تهل برآه ورحب بالعودة
معه إلى قومه : نأ أتوك أمي أو تأدن لي بالسفر معك راصية .

وفي سفرته تلت سمي عند مدخل مكة بعبد المطلب لأن أمها رأوه
مع المطلب لأول مرة فحسبه عبداً اشتراه . وجعلوا يدعونه باسم
« عبد المطلب » كلما أرادوا أن يمروه من أبنائه . فعلت عيه

وشب العلام عروا أيما لايتكني لهضيمة ولاينز عن حق له أو
حق كان لأبيه . فلما أراد عمه نوفل أن يستأثر بمنزلة أبيه هاشم وميراثه
لديه تحين الفرصة للسفر إلى المدينة وعاد إلى مكة بعصبة من أقارب أمه
وأحواله . وهم أولو عصبة أشداء . يشاد بعوئهم في مدائح الشعراء

ولو بأي وهب أنحت مطي

عدت من مداه رحنها غير حائب

فلقاهم عمه نوفل مرحبا ودعاهم إلى ضيافته فلم يقبلوها أو يرصى
قناهم : فصالحهم على مايرضيههم ويرضيه .

وصح الصاؤون في عبد المطلب فماش حتى ناهر المائة أو حاورها
ومات والبي عليه السلام دون العاشرة فعهد به إلى كفالة عمه أبي طالب
شقيق أبيه .

وكل ماتعرف فيه الروايات من أمره قد استقرت على صفة لاتعرف
فيها روايات . وهي صدق التدين والإيمان بمحارم الدين في ساداته أو في

غير سداثة ، واسم ولد من أولاده عبد العزى الذى اشهر بعد ذلك باسم
أبى لُهب لزهرة كانت فى لون وجهه ، ومن حديثه أنه كان يتعصب
للعزى التى عى إليها باسمه . وأنه زار أحد عمادها المتسكين ها فى مرض
موته فوجده يبكى ، فسأله ما يبكىك ؟ أم الموت تكى ولا مفر منه ؟
قال الرجل . كلا . ولكنى أحف ألا تعد العزى بعدى !

فقال أبو لُهب : والله ما عبت وأنت حى لأجلك ولأنك بعدك
لموتك ، فاطمأن الرجل ومات وهو يقول الآن علمت أن لى خليفة
برعاها .

وكانت لعزى بوادى حراص عى بيم المصعد بى العراق ، وكانت
قربش قد حمت ها شعبا يقال له سقام يصاهون به الكعبة ، وهى التى
يعنيها أبو جندب الخليل إذ يقول فى بعض غزله :

لقد حذفت جهدا بيننا غيظة
بفرع التى تحمى فروع سقام
ولها محر تدبج فيه الدائع ويقصد إليه الخاح بعد منى كما يقول
نهيكة القرارى يحاطب عامر بن الطميل :

بأعام لو قدرت عبك رماحنا
والراقصات إلى منى فالضغب

وشأن هذه القصة فى مناقب عبد المطلب أن الذين لم يكى وسيلة
من وسائل الرجل إلى طيب السيادة والسداثة ، وأنه لم يتدين لأنه مادن
الكعبة وصاحب المنعة فى تعظيمها . بل كان يعظم العزى ولا منعه

له في هذا التعظيم ، وكان الدين عنده إيمان حالصا من الخيلة ومن مآرب الكهانة .

ولا يحق أن الورثة في الطوائع لاي لشعائر وطوهر العبادة ، فس كانت عنده عقيدة الإيمان بالعب و العبد بما يرمى به عن عورص لأهواء وبلذات . وهناك عنده سياد المنافع والشهوات في سبيل رصاء . وصات بمسه بالقداء وهرائنص الطدعة والوفاء فهذه هي الطبيعة التي تورث عن احتلام لشعائر وعبادات ، ومشهاى ذلك مثل الشجاعة في القتال ومثل السخاء بادل . قاب الاس الذي يرث لشجاعة من أبيه لأيرث منه ميدانه ولا تنوقف شجاعته انوروثة على سلاحه . فقد يجارب الاس سلاح لم يعرفه أبوه ، وفي ميدان غير ميدانه ، وقد يبدل مال لإقامة مسجد وم يبدل أبوه المال إلا لحت صم و دبح قربان على وثن . ولاغضاضة على موارثه من شجاعة ولا موارث من سخاء

وهذه الطبيعة هي التي ينظر إليها الناصري منقب الأسرة الموروثة . فلو كان عدا المطلب يصدق ، لتدين ليخدع به قومه ويسرع به إلى الرئاسة عليهم لما كان هو عدا المطلب الذي تورث منه حصول لصدق والإيمان . ولكنه تورث منه هذه الخصال حين يصدق في معتقده بالنعمة والنعري ، وحين يدين الناس ما يدين به نفسه في رئاسة هؤلاء الناس .

أبو طالب

وكان أبو طالب حليته في الوصاية على النبي أشبه أبائه به في جميع خصاله ومواقفه .

والخلاف كثير في اسلام أبي طالب . إذ لم يتفق الرواد على اسلام
أحد من أعمام أبي غير حمزة والعباس وهما في مثل سنه . والعباس
يكبرهما بنحو ثلاث سنواته .

ولكن لاختلاف عن حبابه به وجه ياد وصبره على عداوة قريش
كلها في سبيل نصرته ورد أذاهم عنه . وقد بقي في ذلك ما يطبق وما
لا يطبق . وعظم عليه الخصب وشقق من معنته عليه وعلى ابن أخيه
فقال له في ساعة من أشد ساعات الحرج « أتق على نفسك يا بني
ولا تعملني من لأم مالا أطيع » فحزن لبي وحسب أنه سيحمله
وقال له وهو يهم بمصرفته « والله يا عم ! لو وضعوا الشمس في يميني
والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يطهره الله أو أهلك فيه
ما تركته »

فلم يرحل أبي غير قبيل حتى يادد عمه وقال له وهو حزين خرو
« اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لأسلمك بشيء أبدا »

وفي رواية ابن إسحاق : أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت
الصلاة خرج إلى شعب مكة وخرج معه عن أبي طالب مستحيا من
أبيه في صلب ومن جميع أعمامه وسائر قومه . فيصلون للصلاة فيها
فإذا أعسب رجعا . فكذلك ما شاء الله أن يمكث . ثم ياب طالب عمر
عليهما يوما وهما يصليان . فقال لرسول الله ﷺ يا ابن أخي ! مهدي
الذين الذين أراك تدين به ؟ قال : أي عم ! هذا دين الله ودين رسوله
ودين أبينا إبراهيم . بعثني الله به . سؤالا في العباد وأنت أي عم الحق
من بدت له الصبيحة ودعوته إلى الهدى والحق من أحاسن إليه وأعمى

عليه « فقال أبو طالب : « أي ابن أحمى ! إني لا أستطيع أن
أفارق دين آتاني وما كانوا عليه . ولكن والله لا يخلص إليك شيء
تكرهه ما بقيت »

وقال ابن إسحاق « وذكروا أنه قال لعلي : أي بني ! ما هذا الدين
الذي أنت عليه ! فقال : يا أبا عبد الله وبرسول الله ، وصدقت عما
جاء به ، وصييت معه لله واتبعته : فرعموا أنه قال له : إنا أنه لم يدعك
إلى خير ، فأنزله »

وبر أبو طالب بقسمه وحمل لسياف في سبيل عهده ، وروى
القرطبي أنه باحرأنا جهل وجلة قرش في مجموعهم يوم اعتدى ابن
الزبير عليه في صلاته . وكان النبي عليه السلام قد دخل الكعبة ليصل
كعادته فقال أبو جهل : من يقوم إلى هذا الرجل فيصده عليه صلاته ،
فقام ابن الزبير فأخذ حراثا ودما فطرح به وجه النبي ، وانتمل النبي من
صلاته وقصد إلى عمه فسأله عمه : من فعل هذا بك ؟ قال :
عبد الله بن الزبير ! فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه
حتى أتى لقوم ، فلما رأوه قد أقبل جعلوا يهضون فقال أبو طالب : والله
لئن قام رجل خلطه بسبي . ففقدوا حتى داه منهم ، وأخذ أبو طالب حراثا
ودما فطرح به وجوههم ولجأهم وانصرف وهو يغلط لهم القول

وقد تكفل أبو طالب بالنبي في طفولته المأكرة وصحبه في عذوبته
وروحاته خوفا عليه من إساءة عمه في غيابه وانتوى السفر إلى الشام
والنبي في نحو الثانية عشرة من عمره فأشفق عليه أن يحشمه عتاء السفر
العيد ، ثم شياً لرحيل فتعلق به الغلام ابودود وبكى لفراقه ، فلم يقو

على مفارقتة وهو بائس . وقال بصحة والله لأحرقن به معي ولا يفارقني
ولا أفارقه أبدا .

ولقد كان لرجل الحليد يذكر أخاه كلما نحت عينه العلام ينم
فتشرق عيناه بالدموع . ويقول . ما أشبهه بعد الله ! وقد كان أبو طالب
وعند الله - كما تقدم - أخوين شقيقين ، ولم يثبت قط أن هذا الم
الكريم تحلى طرفه عين عن ابن أخيه أو أخوته بكلمة لانهضيه من طعونه
إن أن جهر بدعوته ، ولم يخاف هذا لإجماع من أحمار أبي طالب والتي
أحد من المؤرخين حتى أولئك المفسرين الذين حسبوا أن أبا طالب هو
المقصود بحاء في القرآن في سورة الأنعام « وإن يروا كل آية لا يؤمنوا
بها حتى إذا جاءوك يجادلوك يقول لدينكم هذا إلا أناس ظر
الأولين وهم يهود عه ويتأود عه . وإن يهلكوا إلا أنفسهم
وما يشعرون »

فقد وهم أولئك المفسرون أن أبا طالب كان هو المقصود بهذه
الآيات لأنه كان يسمى عن أذى النبي ولا يدبر يديه ، وم يكن
أبو طالب ممن يلقون النبي ليجادلوه فيصدق عليه ذلك لتفسير . وأصبح
من حصاً هؤلاء المفسرين هما ظهيم أن أبا طالب مقصود بعد وفاته بقوله
تعالى في سورة القصص « نك لأهدى من أحسن » . فإن سورة
الأنعام قد نزلت بعد سورة القصص كما جاء في كتب الإتيان . ولا
هداية ولا حياء ولا هي عن أذى النبي بعد الوفاة .

وعلى الخمسة تدو سا رعاية أبي طالب لابن أخيه على الرغم من
قريش حلائق رحمة وبحوة ووفاء واعتداد بالخاء والكرامة . وتسو لنا

من سيرته كلها خلألق أخرى من قبيل هذه الخلألق التى نجتمع بين النصية والقرد . فإنا نعلم أنه كان نصف سيد الأاطح ، وأنه كان يخرج للتجارة آفة بعد أخرى ، وأن آناه عبد المطلب كان على ثراء عظيم وكان سادات بنى أمية يتافسونه بالعى والسخاء فلا يدركونه فى هذا ولأذلك ، ثم نعلم على كل هذا أن بًا طالب قد بنى صكاً فى شيوخوته وأن السى قد أعاه كعالة انه على وتربيته فى داره ، ونعلم كذلك أن السى لم يكن على حال من الوهر قبل اشتعاله تتحارة لسيدة خديجة ومشاركته فى ربح أموالها .

فصير ابن عبد المطلب وحفيدة إلى حال من القلة بعد غنى الحدود والأوائل قد يسئ عى نصب لأسرة اسوية من لسانة ومن مناصب الدين فى البيت المعمور ، فأكبر النظر أنها كانت مغرماً يأخذ من أموالهم ولم تكن معاً يربحون منه الكثير أو القليل ، ولولا سعة التجارة التى عمل فيها هاشم والمطلب حتى قبل أن أحدهما من قرش سنة الرحلتين إلى الشام وإبش - لما وصل إليهما ذلك لثراء المشهور ولا استطاعا النهوض بأعباء الشرف ومناصب الدين

ولقد مر بنا من نحدة أنى طالب لابن أخيه ماتم به فصيلة النجدة كاملة لهذا الشيخ الكرم ، ولكنها كانت فى الحق نجدة تتسع لكل قاصد ومستجير ولو لم تكن حقوق بن الأخ على عمه . فقد استجار به أبو سلمة صاحب بنى محروم فأجاره وأعلن على الأجاره ، فغشى إليه رجال من بنى محروم فقالوا : يا أبا طالب ما هذا ؟ منعت منا ابن أجبك محمداً فالث ولصاحبنا تمنعه ما ؟ قال : إنه استجار بى وهو ابن اخى ، وإن أنا لم أمتع ابن اخى لم أمتع ابن اخى فعصب أبو لهب فى هذه المرة لأخيه الشيخ وثار بهم قائلاً : يا معشر قرش ! والله لقد أكثرتم على

هذا الشيخ ماتزالون تتواشون عيه في حوارهِ من بين قومه . والله لتسهن
 عنه أو لتقومن معه في كل مقام فيه حتى يطلع ما أراد فحشى رعماء
 قريش ثمة الوفاق بين الأحقرين في السحلة والحوار ، وكان أبو هب
 معهم على رسول الله في دعوته . فقالوا : بل نصرف عما تكره يا أبا
 عتبة ، انصرفوا راعمين .

وحكى عن هشام بن اسد الكندي عن أبيه في رواية لاشبه
 ولاشبهها أن أما حال لما أحس الموت ، جمع إليه وحوه قريش فأنصاهم
 فقال يا معشر قريش ! إلى أوصيكم بمحمد حيرا فإنه لأمين في
 قريش والصديق في العرب وهو الخامع لكن ما أوصيكم به . وقد جاء
 بأمر فيه الحد وأنكره لسان محقة الشد . وليم الله كائن أنظر إلى
 صغابيلهم العرب وأهل لوز والأطراف المستصعبين من الناس قد أحباوا
 دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاص بهم عمرات الموت فصارت
 رؤساء قريش وصادبيدها أذبابا ودورها حرب وصعقاؤها أربابا وإد
 أعظمهم عيه أحوحهم إليه وأنعمهم منه وأخطاهم عبده . قد محصته
 العرب وددها وأصغت له قودها وأعطته قيادها يا معشر قريش !
 كونوا له ولاة وخبره حماة . والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ، ولا يأخذ
 بهديه إلا سعد ، ولو كان لنفسي مدد ولأحلي تأخير لكفمت عنه الخزامر
 ولصدت عنه الدواهي . . .

وهذه البرصة لاشبهها القارئ ها على هذا الأسلوب إلا أن تكون
 لسان حال لا لسان مقال ، وإلا أن يكون ما قبل بعض لفظها وبعض
 معناه ، ولم يكن كل ما جاء فيها

العباس وحمزة

وعلم أن حران غير أبي طالب كانت هي شهرة وصلة بالدعوة النبوية
عرفها بها بعض ما تصفا به من صفات وكفريات . وهما العباس
وحمزة . وكلاهما أخ لعبد الله غير شقيق .

فانعس على صعره تولى السقاية بعد أبيه . وامتاز بين مادات
قريش بالراى والدهاء وطول الأناة . وكان له علم بالأسباب وقدرة على
تألف الناس ودفع العداوات . مع هيئة يحسبها حساسها حلة قريش
من هاشميين وأمويين . وهو حديث العباس ومن حلائقه حلائق أنثائه
لكفة الدهاء من كل رئيس مطاع في هذا البيت الفريد بين بيوتات
هاشميين

وحمزة فارس في حلائق الفروسية كلها من شجاعة وصدق وإيمان
ودرارة بالسيف والخيال . قال ابن إسحاق في قصة إسلامه : فلم يلبث
حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من
قص يرميه ويخرج له . وكان إذا رجع من قصه لم يصل إلى أهله حتى
يطوف بالكعبة . وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف
وسلم وتحدث معهم . وكان أعرفنى في قريش وأشد شكيمة . فلما مر
بالمولاة - مولاة عبد الله بن جدعان - قالت له . يا أبا عمارة . لو رأيت
ماتى ابن أخيت محمد آتيا من نبي لحكم بين هشام ! وجده هاهنا
جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد
ﷺ ، فحمل حمزة العصا أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى
ولم يقف على أحد ، معذرا لأنى جهل إذا لقيه أن يوقع به . فلما دخل

المسجد نظر إليه حالسا في القوم فأقل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه ورفع
القوس فصر به بها مشجبه شجرة منكرة . ثم قال : أتشتبه ؟ فأما على دينه
أقول مايقول ، فرد ذلك على أن استطعت فقامت رجال من بني محروم
ينصروا أما جهل فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فإني والله قد سبت
محمدا ابن أخيه سبا قبيحا . . . »

قال القوم : ما نراك يحمزة إلا قد صبأته .

فقال حمزة : وما يعمى وقد استبان لي منه ذلك أنا أشهد أنه
رسول الله .

ومن أعلام رسول الله غير حمزة والعاس رجلان لم يسلما وهما الزبير
وعبد العزى أبو لهب ، وكلاهما كان يحتن بالطفل الصغير ويدله ويرأيه
بالسؤل عنه ، وكان الزبير يرقصه بأصوات الشعر يرحو له طول العمر
والسجاة ، ووهب له أبو لهب حارثه ثوبة ترضعه وتحمله في طفولته ،
ولانعرف من أخبار الزبير مايسئ عن صفاته وكفائاته ، وأما أبو لهب
فالمعروف عنه ولا سيما في علاقاته بابن أخيه بعد الدعوة - غير قليل

كان بنو هاشم وبنو المطلب جميعا في نصرة النبي من آمن منهم به
ومن لم يؤمن ماعد ، أبا لهب وبنيه . وفيه نزلت الآيات . « تمت بدا أبي
لهب وت ، ماأغنى عنه ماله وماكب ، سيصن بارا ذات لهب :
وامراته حمالة الحطب ، في جيدها حل من مد »

وتعليل هذا الشذوذ أنه من لوازم الأسر الكبيرة التي لاتشد بها أسرة
دات حطر في التاريخ ، فلهذا القماس المطرد مع طوائع الأمر . كان

من علله أنه يدعى بعد العزى تنعص لها ويعصب أن يحسب أحد أماته
أن عبادتها مرهونة بحياته كما تقدم

وكان من علله أنه الكبر أن ينقاد للصغير . ولاسبب أنها أمة
لا تستعرب في عشائر البادية وعشائر الرئاسة مما على التخصيص . ومن
استعربها فيذكر أن العاس وحمرة - عمى الرسون اللدين أسما كانا
من لدته عليه لسلام بلا سوب ثلاثا أو أربع تقده بها لعاس فكان ما
أثرها في تأخير إسلامه سنوات

وكان من علل ذلك الشدود أنه كان على حنف ومشاركة لبيونات
قرش كلها لكثرة ماله وسعة تجارته وأعماله . وقد قال للي في مجمع
الأسرة . هؤلاء هم عمومك وسو عمك فكلم ودع الصفاة . واعلم أنه
يس قومك بأعرب قطبة طاقة . وأنا أتحق من احذك . فحسبك سو
أبيك وإله أمت عيه فهو أسير عليهم من أن يشك بك بطون قرش
وتمدد بعد لما رأيت أحدا جاء على بي أنه بشر مما حشتم به .

وفي مجلس آخر قال له أبو طالب هؤلاء سو أهلك مجتمعون . وإنما
نا أحدهم . غير أني أسرعهم إلى ماتح . فامض يا أمرت فوالله
لا أزال أحوطك وأمنعت غير أن يصي لانطاوعى على فراق دين
عبد لمطلب .

قال أبو لهب . هذه والله أسوأ اتخذوا على يديه قل أن يأخذ
غيركم . وامنض المجلس على عبط بكطمة أبو ط وعهد يرمه أبو
صائب ويقول فيه مقسما : والله لنمنعنه مابقينا .

هذا هو الهوى لدى يزين لصاحبه أن يسوقه مساق الحكمة

والحيطة . فبرغم أنه يدفع الشر عن ابن أخيه وعن هومه ويحسبهم مالا
يطيقونه من جهاد العرب . وفيه في صوته لبأس أن يفقد لمن هو أصغر
منه . ويحتسب ما يصيبه من حر ، بقيادة بر سست له كبرياءه

وليس من اعلى لى نسي في هذا المقام أنه كان روح لأخت في
سفين ، وأن ولديه كانا متزوجين لرقية وأم كثيرة كريمتى رسول الله .
وبين بروحتين والروحه بحس لآلهما ولا تروا تتحين الفرصة للوفية
والشرقة والعداء

وأما كان ما كان من أنى له فهو لشذوذ لدى يشرب لا يكون
وليس بالغريب أن يكون !

وأشهر أبناء الأسرة من غير لأعمام من عمه الحسب وأنه دلبية
على من أنى طاب رضوان الله عليه وصغاته وكهاياته تأخذ من كل
سيد من ساداتها بمصيب شجاعه وطبه وهم وبنات على المعرفة وإيثار
للمعروف .

أسرة لا تخرج النبوة وما خرجت قط من حيز من

ونشأة التى عليه السلام فيها تصدق المقدمات التى قننا إنها مقدمات
التمهيد والتحضير

إلا أنها كميات المقدمات التى مهدت من جانب لتقيم المصاعب كلها
من جانب آخر .

أسره عزيزة ، لآباء والأحدا . فحرها بالسب أعظم من كل محر .
وساداتها بالحلائق الموروثة نت من كل سادة ثم شأ لها من بيها نى

سعى على الآباء والأحباء ما كانوا عليه من ضلالة ، ويسكر من الأساء أن
يسكروا مسلكتهم ويهيموا على آثارهم ، ويقول لهم كما قال إبراهيم :
« لقد كنتم وأناؤكم في ضلال مبين »

ويهيىب عن آمن منهم - « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم
وأخوانكم أوبياء إن استحبوا لكفر على الإيمان »

ويدعورهم أن يتبعوا ما أمر الله لأن آباءهم لا يعقون : « وإذا قيل
لهم اتبعوا ما أنزل الله قلوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون »

لقد نشأ محمد في الأسرة التي تعطيه خير متعطى الأسر منها .

ولكنه جاءها بالنيرة التي لا يعطيها غير الله !

وكانت الأسرة تمهدا له غيا ورث منها .

ولكنها وما ورثت من قومها هي عقدة الأرض التي تمهدا السماء

والدا النبي عبدالله وآمنة

تلك هي لأسرة العامة التي شملت الأحداد والأعمام . وللي صلوات الله عليه . مع هذه الأسرة العامة . أسرة خاصة من أبويه الشريفين عبدالله وآمنة .

ولم يحق لـ التاريخ كثيرا من أنباء هذين الأبوين الشريفين . ولكنه أعف لنا مفيه البكيفة لبيان أثرهما المصالي في وجدان ولدهما العظيم . ندرت في أبواب العطاء أبوة كأبوة عبدالله بن عبدالمطلب . ونكاد نقول بها مرت بعير نظير لها وعيناه من تواريخ الأنبياء والهداة من كل قبيل .

ففي م يكذب تنحو من الموت ديبها حتى مات بعدا عن روحه التي درقها عروسا وعن ولده الذي لم تره عيناه .

لكننا وجد هذا الفتى في لذب بعقب ذرية تربدها العناية الإلهية . ثم بتركها في كلاءة تلك العناية لقدرة لائعي فيه عابة الآباء

وفي تاريخ الأنبياء أب عاش حتى شهد بعثة الله فأكرها وثواباً مع قومه على جدلا . ففقت ذكراه حيه أمل وحيرة لمن يحل السعوه ويحل إبراهيم .

فأما هذه الأيوذ فالرحمة فيها تملأ مكاب الحسة ، والبر بالذكرى بطلاً
 مكان الخيرة ويتطعم وراءه إلى الأسمى على عقيد والعراء للوليد الوحيد
 وحياء لا تشع سحل الحوادث والحضور ، ولكن القس تشعها كما
 يعوضها عن حوادثها وحضورها حبا سامقا وحالا يفتى فيه الحسن والخيال
 وهذا الذي صمته بديهة حسة الصادقة فلم تدع سيرة عبد الله حتى
 ودعت من الحواطر والأمانى ما تزدحم به أعمار طواب ، لما تمناه له
 المحروبون على صباه وتقواه يفيض في حواش سيرته حتى تمتلئ به مائة
 حصة

قيل في بعض ما قيل من هذه الحواطر والأمانى « إنه لما انصرف مع
 أبيه بعد أر فداءه سحر مائة من الإبل لرويا رأها مرعى امرأة كاهنه
 مسودة قد قرأت في الكتب فقام لها فاصمة فقالت له حين نظرت إلى
 وجهه وكان أحسن رجل في قريش ذلك مثل الإبل التي لمحت عنك
 وأبدل لك نصي « رأت في وجهه من نور لسوة ورحلت أن تحمل
 بهذا النبي الكريم ﷺ - فأجاسها بقوله .

أما الحرام فالمصاحف دونه والحلل لا حل فاستبينه
 فكيف بالأمر الذي تبعه يحصى الكريم عرصه وديه

ثم خرج به عبد مطلق حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة
 وهو يومئذ سيد زهرة بسا وشرفا فزوجته بنته أمه وهي يومئذ فصيل امرأة
 من قريش بسا وموضعا . فحبيب برسوا لله ﷺ ، ثم خرج من
 عندها فمر بالمرأة التي عرست عليه ما عرست فقالت لها مالك لا تعرضين
 على ليوم ما عرست بالأمر . فقالت فارقت لسور الذي كان معك

فيس لي بذلك اليوم حاجة إنما أردت أن يكون لسور في فأي الله لا
أن يجعله حيث شاء .

وفي أسند من هدم أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع
آمة بنت وهب ، وقد عمل في طين له وبه آثار من الطين فدعاها
فانطأت عليه لما رأت به من أثر الطين ، فخرج من عندها فتوضأ وغسل
ما كان به . ثم خرج عائداً إلى آمة فمر بامرأته الأولى فدعه فلم يجها
وعمد إلى آمة فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم . ثم مر بامرأته تلك . فقالت
له مررت في وبي عيتك عره بيضاء فدعوتك فأبيت .

قال اسحاق بن سار صاحب الخبر فرعموا أن امرأته تلك كانت
تحدث به مرها وبي عيه عرة مثل عرة الفرس قالت فدعوت رجاء
أن تكون لي . فأي على . ودخل على آمة فحملت برسول الله
وحاء في غير خير أن فتبات مكة ذهبت من احسرة لروح عبد الله
من آمة . وكانت كل فتاة من تمنيها روحها لها لحاله وتحدث الناس
بهذا

وفي كل هذه لأحار قسط من الصحة لاسهله ولاسوي بين رواية
السير له وبين أخذها منه . فإن محيئه في لير يشت لما معنى صادق
الدلالة وإن يكن غير معناه المقصود يشت ما لوما من شعور الناس
بصاحب سيره ولوما من تعبيرهم عن ذلك الشعور . ومن كان هذا
المعنى كفوا عنده فخير له أن يشجب السير والتواريخ .

وأما حكم الواقع على حدوث الخبر فحسبنا فيه حكم القرآن الكريم
الذي يبطل علم الكهان بالغيب كما ينكره على أعوانهم من الكهان . وفي

سورة سبا عن سليمان بن دود عليها اسلام « فلما قصصنا عليه الموت
مادهم على موته لا دمة الارض تأكل مسأته فلما خرّ نيت الحزن أن لو
كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين »

والقرآن الكريم يقول في غير موضع إنه لا يعلم الغيب إلا الله ، ويقول
بلسان النبي : ولا أعلم الغيب

فلا كهن يعلم من أمر الدنيا سرا من أمرار لعب فضلا عن أمر
النسوة والرسالة ، والكاهنة نبي تريد أن تحمل نبي لا يحظرها أن تحصل به
سفاحا فيقول لها عبد الله

أما احرام فالحل لا حل فاستبسه
وأما أن تكون روجة ثم لا يرى من روحها تلك لعره قل دهاها ثم
تأبى معاشرته بعد دهاها - فليس مما يجور تصديقه من شئون الرواح
فانقصه كلها ، ومشاهدها من القصص ، رغبة ورهبة فجال
عبد الله وأسمى النفوس لما فات ذلك الخيال في عصفوان صاه

ولا تكزن لما كان عليه عبد الله من الوصاية والوصافة وعضارة
الشباب سواء حفظت لنا السيرة قصة من تلك القصص أو جاءتنا غفلا
مها فقد حفظت لنا رؤية العيان أنه كان وإحوته بطوفون بالكمة مع
أبيهم فيأحدون الأنصار ، ولم يصف لواقعون بني هاشم بدمة أو
معاينة في الخلق والصورة ، حتى فيها وضعهم به الشائون وطلاب
العبوس .

• • •

وفيا وصل إلينا من سيرته قصة غير تلك القصص لأقل للمصلحة
وحدما بأن تحققها . لأنها تحتاج إلى افتنان في وصفها وتحتاج - مع
الافتنان - إلى مصلحة مفروضة تدعو إلى احتلاقها . أو علة من العمل
المعروفة نمر لما ذلك الاحتلاق .

وتلك هي قصة الدر التي أوردناها في الكلام على الكعبة . وهي
تقوم بديوان جامع من القصص للتعريف بحالات عبد الله .

وليس يكفي في معيار النقد التاريخي أن يكون اختراع القصة ممكنا
ليقال إنها مخترعة . فإن إهام كل خبر بالاختراع لأنه يجوز أن يخرع
يسقط أخبار التاريخ كله في الزمن القديم وفي الزمن الحديث ، وإنما
يظن الاختراع بالخبر لمسوع يدعو إلى الشك فيه ولمصلحة توجب اختراعه
ونصرا اضطرارا إلى نفيه على ثقة أو على ترجيح

وهذه القصة بعينها ينبغي قل نفيها أن نعرف مصلحة المسلم أو
الجاهل في اختراعها وإصافها بعد المطلب وعبد الله . فقد قيل إنها
اخترعت لتصوير عبد الله أبي النبي في صورة للذبيح إسماعيل ، وقيل إنها
م تطهر في الجامعة قل البعثة الإسلامية .

هل من مصلحة مسلم أن يخلق القصة ويقول إن جد أبي أوشك
أن يذبح أباه قربانا للأصنام ؟

وهل من مصلحة جاهل أن يدع الافتنان في القصة وفي وسيلة
الخلاص من الفداء ليكر على سدة الكعبة قدرتهم على استخبار أربابها
ويرجع بالفصل في الوسيلة والاستخبار إلى كاهنة حيرية تقى هم في
شؤون عاداتهم وأبنائهم حيث يعجزون عن الفتيا وهم مفتقرون إليها ؟

ولم هذا التخصيص بعد المطلب وعند الله ؟ ومن الذي كان عنده
من قدره الاقتناع في القصص مثل هذه القدرة ثم حتى أمره ولم تأت منه
أفتونة مثلها في زمانها ؟

وهناك مسوغ آخر لطلب يندر إلى الدهن إذا كانت هذه القصة قد
حدثت لأحد قبل عصر عبد المطلب ثم نقلت إليه . كما حدث كثيرا في
قصص المتكررة التي تروى عن أناس معروفين . ولكن هذه القصة
بذاتها لم ترد بها الرواية في بلاد العرب أو غيرها عن أحد غير عبد الله .
وليست هي مما يوضع في بلاد لم تعهد السهام وصرع المقدح والعداء
بالإبل ولتقري إلى كعبة تجمع لأصنام من قبل إلى مثلثة إلى أساف
فماذا اخترعت في بلاد العرب وحض عبد الله باحتراعها عليه ؟

إن لم تكن هناك شبهة من هذه الشبهات ومسوغ من هذه المسوغات
فقبول القصة أولى من رفضها . وتأليفها على هذا الاقتناع غير قصد
معلوم أصعب في وقوعها . وقد تساق في معرض ترجيحها وتداولها إلى
منتصف القرن الأول للهجرة رواية بطريق يقول بها بعد سدة متصل .
« أن ابن عباس سأته امرأة إنها بذرت دبح ولدها عند الكعبة فأمرها
بذبح مائة من الإبل وذكر لها هذه القصة عن عبد المطلب . وسألت
عبد الله بن عمر هم يفتها بشيء بل توقف . فبلغ ذلك مروان بن الحكم
وهو أمير على المدينة فقال لهما لم يصيب الفتية . ثم أمر المرأة أن تعمل
ما استطاعت من خير وسأها عن دبح ولدها ولم يأمرها بذبح الإبل .
وأخذ الناس بقول مروان »

والحق بين رفض القصة وقبولها أنه لا موجب لرفضها وليس في قبولها

ما يخاف مألوف من مألوفات رماها . وقد كان بدر عند المطلب طلباً عزيزاً
من الإله بدل به هديته . وكان ابوفاء من فضائل المأثورة وكان مع
ابوفاء بالدر يمدد بسبب العقبي وحذر من أن يصيب الحرة ابتداء
جميعاً . فليس في حد الوفاء حليقة تحلّل لأبها فوق طاقة الآساب

ومن رضى قصة الدر هذه فتصيب عند الله عنده أعظم من
تصيب أبيه . لأنه سلم حياته غدية لإخوته ولم ينكص عن طاعة أب
وطاعة رب . ومن يفعل ذلك يسئ عن إيمان قوى بالوحي وقد م على
موت في ربيع الثمان . وقد كان له أن ينحمل المعادير فلا يعود
الحياة . فكأن من رحل لا يكر الدين ولا يفرق منه . قد ساءه الدين ما يعز
عليه لم تعذر عليه الحجة للتجمل من فرائضه ولا حترأ على أوامره
ونواهي

على أن الملاحظة التي نستوقف من أمر هذه الأسرة القوية المدركة أن
أخبارها المسيرة التي ترسل أرسالا في المسابقات المتفرقة أدل عليها من
الأخبار التي تنضم في مناسبة واحدة وتحتل مظنة الوضع والتأليف .
ومها تتناثر الأخبار عن أحوالها في الهدية تخلص بها إلى حصنة
ملحوظة في جميع هذه الأخبار وهي « النظام » الذي تتوحاه في
معاملاتها وعلاقات أفرادها على السبيل بغير تدبير مقصود .

من هـ كمة ومن هـاك خبر ومن جواب شئ أحاديث وروايات
وكنها يصنع هذا الطاع بغير شذوذ حتى حين ينتظر الشذوذ
ولا يستعرب ، فأو هـ هـ وهو خارج على جماع الأسرة -
يأتي في مجلس قريش أن يسام أخوه الكبير - أبو طالب - ما لم يعود

من الطاعة والتوقير ، ومحضر محسن الأسرة فلا يزيد عن كلمة بقولها حين
يسمع من أخيه أنه ينصر محمداً ولا يستمع فيه للامة بعيد وقريب ، ثم
بتصرف من المجلس وهو كظيم .

أما في سائر محامع الأسرة فالطاعة والتوقير سنة لا تخالفها صغار
الأسرة في محاسن كبارها ، فإذا جلس عميدها جلسوا وراءه وصحتوا في
حضرته لا يبدءون بالكلام إلا أن يدعوهم إليه ومن هنا عجبهم أن
يقبل العلامة اليتيم إلى مجلس حده فيقصد إليه ويجلس إلى جواره ، وهم
مع علمهم بإشفاق الحد عليه وتدليله إياه يستدعونه إليهم ليجلس معهم
حتى يأمرهم الحد فيسكتوا عنه وهم لا يقولون إشفاقا عليه

ومن نظام الأسرة أن عبد الله حرح بعد رواجه مع أول فاطمة حان
موعدها ولم يتخفف عنه ذاك إلى عام قابل ، وهو يفرغ من عرسه الذي
كان خليفاً أن يعطيه تلهف أبيه وآله على حياته بعد اليأس منه في قصة
النذر المشهور ، فخرج مع القافلة ولما ينقص عن زفافه أسبوعان على
أرجح الأقوال .

ولاشيء أشبه بالواقع المنظور في قصة زواج عبد الله بعد الوفاء بذره
واستقاء حياته ، فإن أمه - لا حرم - قد امتلأت نفسه زمناً يشيع
الموت يطيف بولده الحبيب إليه ، ليس أقرب إلى خاطره من تعريض
ذلك الشعور الجاثم على صدره بالاطمئنان عن بقاء فتاه والعبطة بدوامه
ودوام دريته من بعده ، ولا سيما الدوام بعد النذر الذي كان معناه تعبير
الثنتين بقلة الدربة وانتاش الأب خوفاً من انقطاع العقب مع ولد
وحيد .

وختار الأب روجة عبد الله من بني زهرة أحلاف بني هاشم
ولمطلب في كل أحلاف روجة أمة بنت وهب أعرق بني زهرة نسب
وأكرمها محنًا ومدره العشرة كلها في محامق قريش ، وينتهي نسبه لآبيه
وأمه إلى عبد مناف ، وقد فخر رسول الله بنسابه إلى هذه الأمومة
فقال : «أنا ابن المصطفى مني سليم» .

روى لإمام أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة بعد إيراد
متصل : «أن عبد المطلب قدم ابنه في رجة الشتاء فتزول عبي حبر من
اليهود قال : فقال في رجل من أهل الديور - يعني أهل لكتاب
يا عبد المطلب ! أتأذن لي أن أنظر إلى بعضك ؟ قال نعم إذا لم يكن
عورة . قال - ففتح إحدى مخزى فطرقه ثم نصر في الآخر فقال
أشهد أن في إحدى يديك ملكا وفي الأخرى نبوة . وأنا بعد ذلك في بني
زهرة فكيف ذلك ؟ قلت لا أدري ! قال هل لك من شاة ؟ قلت وما
الشاة ؟ قال أروجة ! قلت - أما اليوم فلا قال إذا رجعت فتزوج
فيهم فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بن مناف بن زهرة
فولدت حمزة وصيه . ثم تزوج عبد الله بن عبد المطلب أمة بنت
وهب فولدت رسول الله . فقالت قريش حين تزوج عبد الله بأمه
فلج - أي فار - وعلم عبد الله على أبيه »

وهذه مثل من الأخبار التي لا تثبت على المطر وتبني على حقيقة ثابتة
وهي اتصال النسب بين آل عبد لمطلب وآل وهب ، واتصال البشير في
الحياة الزوجية لما كان من الاتصال بينهما في الحياة العامة ، ولم يأت هذا
الاتصال لقديم سوءة من ناسك في اليمن تنكشف من انظر في
مخزين .

انتقل عبد الله بعروسته من حى وهب إلى حى عبد المطلب بعد أيام
العرس ، فلم يطل به البقاء إلا ريثما أذن مؤذن القافلة بالرحيل

ولم يعد من رحله تلك إلى داره فإنها كانت الرحلة الأخيرة لكل
راجل أو قاعد في هذه الحبة . رحلة من طاهر لأرض إلى حوف
الصريح

وولد النبی علیه السلام بعد موت أبيه عی أشهر الروایات .
فأرضعته أمه وأرضعته معها ثوبه جارية عمه أبي هب . ثم عهد به إلى
حليمة بنت دؤبث تستم رضاعه في بادية قومها بني سعد على ستة العلية
من أشرف مكة ، يتفون لنشأة السليمة واللغة الصحيحة بعيدا من
أحلاط مكة وأهوائها . وم يكن الطفل اليتيم على يسار لأن أباه مات في
مقبل الشباب ، ولكن أسرة أبيه وأسرة أمه تكفلتا بنشأته كما يشأ أبناء
السراة من قريش . فأحدثته لرضعة بعد تردد . ثم أعادته إلى مكة قبل
أن يبلغ الثالثة ، لأنها سمعت من بها أن أحاه القرشي قد صرع وهو
سبع . وأن رحلين أحذاه فإذا هما يشقان بطنه ولا يزالان بسوطانه . فلما
ذهب إليه حيث تركه أبها وجدته فأنما تمتنع الوجه . فبادرت به إلى
مكة مخافة عيبه . وظلت إليها أمه أن تعود به إلى البادية تحشى على
انفصل من هواء لبد ولا تحشى عليه من ذلك الخطر الذي خشيته
لرضع الرؤوم ، بعدما سمعته من أبها وراته من امتناع لون الوليد لقرشي
وقيامه منهدا في الحلاء . فلما عادت به إلى البادية أتم رضاعه فيها ولث
معها إلى الخامسة وقبها بقليل . ونكلم وحرى لسانه بالعربية القصحي
وهو بين بني سعد : فذاك فخره بعد النوة إذ يعجب لصحابة من

فصاحته فلا يرى عليه السلام عجا في فصاحة عربي شأ في بي سعد
وثرى في الدواة من قریش

»

ولم يكده الصبي بطمش إلى حوار أمه بعد عودته من المدينة حتى
فقداه وهما في ريادة لغير أبيه بالمدينة

وما كان قد بقي في الدنيا لفتاة الأيم غير هذا الصبي وذكرى أبيه
لراحل في غريبتين : غربة الموت وغربة المكان .

مخرجت به صيدا تزور الفقيد الراحل في مثواه ونحسه مشوقا تحت
طباق الأرض إلى رؤية الوليد الذي لم تنصره عيناه تحت شمس النهار
وكذلك تزيير الوليد اليتيم أباه .

فلما قضت حق الريادة ولشت في جيرة أخوال عبد الله شهرا أو بعض
شهر ، قفلت بوليدها راحلة إلى مكان ، فماتت ودفنت في الطريق
وكل ما وعته السيرة من مرصها أنها وعك من لفحة السموم فلم
تطل بها الوعكة غير أيام .

• • •

ومن اليسير أن نعلم وقع هذه المفاجعة في نفس الصبي اليتيم ،
يتجدد له مصابه في أبيه فلا يكاد يرح صريحه حتى يقف على ضريح أمه
مهجورا في عرص الطريق .

إلا أن هذه المفاجعة مما تدل عليه أهم في دراستنا هذه مما خلقته في
نفس الصبي الصغير .

مصابه في أبيه ومصابه في أمه ، ولم يزل صبيا صغيرا حين أطبق
عليها مصابه في جده الذي ضمه إليه بعد فقد أبويه

لو نفس صغيرة تناعت عيب هذه الصربات في صاها لسحقها
واسترفت كل ما حوته من عطف وأمل ، فلا تعيش أن عاشت
بصرباتها - إلا كي يعيش الأشباح في ظلمات الحياة

فاد وحشت لنا وقمة عبد هذه الضررت التي تلقاها الصبي فأوب
ماضيه لديه وأولاه بالوعوف الطويل إنها دلالة على لقوه في مكملها وعلى
الروح العظيم الذي تحلى بعد ذلك في تاريخ بني الإنسان ، كهؤلاء الأعظم
الأعباء وأفدح الخطوب .

وتن ديك وفقتنا أمام المعطف الذي أفادته تلك النفس القوية من
صربات تسحق مددومها وتعرف بها كل عطف وأمل

وقد حرح الصبي من تلك الصربات القاصمة بالعاطفة الراحرة التي
تشمل بعضي . عالم الحياة وما بعد الحياة ، مد كان أحب للناس إليه في
عالم آخر لا تنديه به هذه الحياة . وجاءت بعثته إلى الناس كافة باسم الله
الرحمن الرحيم .

ولعمه أول فتح أطل عليه من فتوح عالم العيب فاستمد منه بعد ذلك
قوته التي دالة لها هذا العالم المشهود .

دياه بعد دلت أوسع من ديا الناس وأعم من ديا لأحياء .
وحاجر الموت عنده بررح تنصل به لدي والآخرة ويعيش فيه الحى
واميت . ولا ينتقل فيه الخلق في دياهم يهلكوا آخر الدهر بل يعيشوا
آخر الدهر خالدين .

وقليل في حب هذا فائده العطف لدى عهدناه من صباه إلى حتام
حياته يحيط به كل إنسان وكل حي وكل شيء . ولم يترحم عنه عطفه
على خاصته وعلى مرصعته وعلى كل باق من بقايا أمه وأبيه ، ولم يرل
يترحم عنه عطفه الذي لم يحرمه أحد قط من صاحب أو صديق

• • •

ولاندع الكلام على لأمره السوية وفي الخاطر سؤال نوحى إليه أن
سأله وأن نجيب عنه بما أستطيع الجواب

لقد مات عبد الله وأمنة وما يحورا الخامسة والعشرين . ولا يكون
الموت في هذه السن إلا علامة على الضعف والهراس ، إن لم يكن من
مرض يستند الأجل في عنفوان الشباب

فهل كان محمد عليه السلام سليل أبوين ضعيفين هزيلين ؟

إن لم تكن عراة الالتقاء بين الأبوين على هذا الضعف كافية لدفع
هذا الظن فلا حاجة إلى دافع له غير حياة الوليد بما استوفته من قوة
الروح وقوة الجمان

وقد سأل أناس من كتاب العرب هذا السؤال وخيل إليهم أهم
وحدو حوبه في قصة البصرع المزعوم قبل الفطام وفيما كان يعروه من
برحاء نوحى لى وصفاه الأقربون منه ، ويسرها أنه كان عليه السلام
يرعد ويبضطرب وينقاطر منه في اليوم الثاني عرف كعجب الجمان .

وعجيب أن يصاب الإنسان ببصرع لا يعروه غير مرة واحدة في سن
الرضاع ، ثم لا يعاوده مرة أخرى إلى قرابة الأربعين .

وأنعجب منه أن يصاب به بعد الأربعين في حال واحدة حين يتنق
الوحي ، ثم لا يصاب به مرة في غير تلك الحال

ولكنه ليس بمعجيب أن تجيش نية لنعم والده من أعماقها في
عاشية الوحي كأننا ما كان قوم الهدى الذي نعتناه

ولا نعلم أن أحداً من الأنبياء وصف ما كما وصف محمد عليه
السلام في كل شدة من سخاه وفي كل حركة من حركاته ، وفي يقظته
ورقده ، وفي حديثه وصعته ، وفي جلوسه ومسيره . وفي ركوبه
وارتخاله ، فلم نكن له صفة قط في كل أولئك غير صفة النية السوية
والخلق لقوم .

كان باتفاق جميع واضعيه فوق المربع بعيد ما بين المنكبين ، غزير
الشعر تلمس جنته شحمة أذنيه ، شتر الكعبين والقدمين صحم
الكرديس - أي ملتقى العظام ، وم يكن باطهم ولا بالمكنم ، أدعج
العين مهدب الأشعار ، إذا مشى تقنع كأنما يسجد من صب . دربع
الخطوة سائل الأطراف^(١) .

والنق أبى عن حالات الصرع من سائر الصفات ، وما وصف
منطق السبي شيء ، ثم على اضطراب في عصب أو في عصل أو يبيى عن
عرض من الأعراض غير سئم أو قويم . كما صليح الصم - يكلم بكلام
بين فصل مفسر ، إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها ، وإذا
حدث اتصل بها أي صحب كلامه بما يوافقها من حركاتها . وإذا
(١) باطهم لمصغ الوجه والمكنم المدور . والأهدب طويل أهداب العين مع

اضطراب

غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غص طرفه . جل ضحكك التيم .
ليس بصخب ولا يرتفع له صوت في غير دعاء .

وهذه صفات كلامه من أكثر من عشرين مصدراً جمعها أبو عيسى
الترمذي صاحب الثمائل الحمدي ، ولم يأت بين ثناياها مساعج اشتباه في
عرض من أعراض خلل الصرع والاضطراب ، بل هي كلها تأكيد
للمنطق السليم والخلق القويم .

• • •

الله اعلم حيث يجعل رسالته .

وقد جعلت رسالة محمد حيث ينبغي أن تكون - خلقاً وخلقا - من
ميراث الزمن وميراث الأجداد والآباء . فكل خلق وصف به فهو
الصالح لأداء رسالته والنهوض بأمانته . إن تكن ضريبة من ضرائب
العظمة الكبرى - ولا بد لها من ضريبة - فذلك هي النفس في نسله
ليستوفي التمام من أمر هذه الذرية الباقية إلى يومنا ، وبعد يومنا ، جامعة
واعية لكل تابع من تابعيه . وكل مولود له في عالم الضمير من بينه وغير
بينه .

وإنه لعل خلق عظيم .

وإنه لعل خلق قويم .

نتيجة النتائج

ونتيجة النتائج من مقدماتها جميعا أن حوادث الدنيا وحوادث الجزيرة وحوادث الأسرة ، قد مهدت سبلا شتى للرسالة المحمدية ، ولكنها مهدتها لتأق الرسالة بعدها فتشور عليها وتنكث غزوها ، وتعيدها على العالم الإنساني في تسج جديد .

يتم في غير ذلة .

عزيز في غير قسوة .

يرث الكعبة ولكنه يهدم أربابها ، ويرث الأريحية من يقين بني هاشم ولكنه ينير مجراها ، ويرث العصبية في أقواها وأمنعها ولكنه يقودها إلى عصبية واحدة نضم إليها العرب والعجم ، وتؤمن برب واحد هو رب العالمين .

وجائز أن يكون صاحب الرسالة قد عرف في صباه كل دين من أديان الجزيرة العربية ، ولكنه ليس بالجائز أن تعلمه كيف ينكر أخطأها ويقوم التواءها ويرتق بها من أوشاب الشرك إلى صفاء التوحيد .

مهدت له الدنيا طريقا ولكنه هداها إلى غير تلك الطريق .

فهما تمهيدان يتلاقيان ويفترقان : تمهيد من قوانين الكون وتمهيد من العناية الأزلية ، وحيث ينهض رجل واحد بما يأباه قومه ويأباه معهم أقوام زمانه ، فلبست هي بإرادة إنسان ولكنها بإرادة الله ، وما هي بقدره أحد أو آحاد ولكنها قدرة الخالق فيما خلق ، يولها من يشاء حيث شاء .

فهرس

صفحة	
٣	مقدمة المقدمات...
٧	الطوالع والنبوءات...
٣٣	الاحوال العالمية قبل الدعوة المحمدية...
٤١	الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية...
٨٢	النبوة المحمدية...
٩٩	سيد الانبياء...
١٢٠	دين الانسانية...
١٣٠	الكعبة...
١٤٠	أسرة النبي...
١٦٣	والدا النبي عبد الله وآمنة...
١٧٨	نتيجة النتائج...

رقم الإيداع : ٨٠/٣٩٥٦
الترقيم الدولي : ٣ - ٢١٢ - ٢٨٦ - ٩٧٧ ISBN

طبعة أولية